الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي (جيجل)

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان

التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف

رياض الصالحين – أنموذجا– لصاحبه النووي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللّسان

إعـداد الطالبتين:

- آسية بوكرش
- نورة ركيمة

إشـراف الأستاذ:

كمال فنينش

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
مختار قندوز	مساعد "أ"	جيجل	رئيسا
كمال فنينش	مساعد "ب"	جيجل	مشرفا ومقررا
عدلان رويدي	مساعد "أ"	جيجل	ممتحنا

السنة الجامعية: 1438/1437هـ/ 2017/2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي (جيجل)

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان

التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف

رياض الصالحين – أنموذجا– لصاحبه النووي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللّسان

إعـداد الطالبتين:
- آسية بوكرش
- نورة ركيمة

إشـراف الأستاذ:
كمال فنينش

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
مختار قندوز	مساعد "أ"	جيجل	رئيسا
كمال فنينش	مساعد "ب"	جيجل	مشرفا ومقررا
عدلان رويدي	مساعد "أ"	جيجل	ممتحنا

السنة الجامعية: 1438/1437هـ/ 2017/2016م

دعـــاء

قال تعالى: " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمؤْمِنُونَ".سورة التوبة الأية105.

اللهم باسمك نقتدي، وبهديك نهتدي،وبك يا معين نسترشد، فنسألك أن تملأ بنور الحق بصائرنا اللهم لا تصبنا بالغرور إذا أخفقنا وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح، اللهم ارزقنا بالألف ألفة وبالباء بركة، وبالتاء توبة، وبالثاء ثواب، وبالجيم جمالا، وبالحاء حكمةً اللهم ارزقنا بالخاء خيرات وبالدال دنوا وبالذال ذكاء وبالراء رحمةً وبالزاي زلفة وبالسين سناء، وبالشين شفاءً، اللهم ارزقنا بالصاد صدق وبالضاد ضناء وبالطاء طهرا، وبالظاء ظفراً وبالعين علماً وبالغين غنىً وبالفاء فلاحاً، اللهم ارزقنا بالقاف قربا وبالكاف كفاية وباللام لطفاً، وبالميم موعظةً، وبالنون نوراً، وبالهاء هدايةً، وبالواو وصلة وبالياء يقيناً.

آمين يا رب العالمين

شكر وعرفان

أول من يشكر ويحمد أناء الليل وأطراف النهار هو العلي القهار، الأول والآخر والظاهر والباطن، الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى، وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى، وأنار دروبنا، فله جزيل الحمد والثناء العظيم، هو الذي انعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله "محمدا بن عبد الله" عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم، أرسله بقرآنه المبين، فعلمنا ما لم نعلم، وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

لله الحمد كله والشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

لك أستاذنا الفاضل "فنينش كمال" نرفع أجنحة الدعوات لله عز وعلا بأن يحفظك ويجعلك دوما في خدمة رسالتك النبيلة للأجيال الصاعدة.

شكرا لأنك كنت نعم الأستاذ ونعم المرشد ونعم القدوة.

كما نتقدم بشكرنا إلى أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة "محمد الصديق بن يحي"، ونخص بالذكر الأستاذ: لطرش سليم، مختار قندوز، العفيون بلال، بوزنية رياض، والذين كانوا عونا لنا بعد الله تعالى بآرائهم السديدة وبتصويب أخطائنا فجزاهم الله أحسن الجزاء وكل من ساهم في إثراء هذه المذكرة من قريب أو من بعيد.

آسية نورة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتبر اللغة العربية لغة القرآن والوحي، وأعظم مقومات بقاء الأمة العربية، وهي لغة حية قوية عاشت دهرها في تطور ونماء، إذ شرفها الله تعالى بأن جعلها لغة القرآن الكريم فسمت منزلتها وارتفع شأنها.

فأخذت هذه اللغة مكانتها الرفيعة بين سائر اللغات الأخرى، وقد تميزت بالعديد من الظواهر اللغوية المختلفة، ناهيك عن علمي النحو والصرف، وعلم الدلالة، فكل هذه العلوم زادتها انتشارا وتطورا أكثر بما تملكه من خصائص ومميزات وما تمتاز به من ثراء ومقومات، فهي أرقى اللغات وأقدرها على التلقي والاستيعاب والتأثير.

وهذا ما جعل العديد من العلماء يعكفون على دراسة هذه اللغة الجميلة واكتشاف أسرارها، وهذه الظواهر اللغوية التي اشتهرت بها، زادتها فصاحة وانتظاما بين مختلف تراكيبها، فعلم الصرف وضع للنظر في أبنية الألفاظ وعلم النحو وضع للنظر في إعراب ما ترتب منها، والبيان وضع للنظر في أثر هذا التركيب.

ومن الظواهر اللغوية التي تميزت بها ظاهرة التقديم والتأخير التي تعنى بتقديم أجزاء الكلام العربي على أجزاء أخرى، فبعض هذه الأجزاء متأخرة أو تأخير بعضها على البعض الآخر والأصل أن تكون متقدمة داخل التركيب.

ورغبة منّا في دراسة ظاهرة التقديم والتأخير لما لها من فوائد بلاغية تساعدنا على معرفة تراكيب الجملة وغيرها جاء اختيارنا لموضوع " التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف رياض الصالحين أنموذجا"، ذلك لما في هذه الظاهرة اللغوية من أهمية، كما أن الخوض في غمار هذه الظاهرة ينمي القدرات النحوية والبلاغية لدينا، ومنه نحن نريد من وراء دراسة هذه الظاهرة معرفة جمالياتها، وتوضيح طريقة تناولها ومعالجتها في الدرس البلاغي، واستنباط بواطن وأسرار قوتها في اللغة العربية وتبيان تجلياتها وأثرها في الحديث النبوي الشريف.

فقد اتبعنا خطة محاولين من خلالها الإلمام بالموضوع، حيث قسمناها إلى فصلين (نظري وتطبيقي) ممهدا لهما بمدخل يخدم العنوان؛ من بلاغة وتقديم وتأخير.

أما الفصل الأول فقد أردنا أن يكون شاملا لكل ما تعلق بالتقديم والتأخير بصفة عامة، من أجل توضيح طريقة معالجته للتقديم والتأخير، وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث: المبحث الأول عالجنا فيه ماهية التقديم والتأخير لغة واصطلاحا ورؤية النحاة والبلاغيين له، أما المبحث الثاني فيعالج أنواع التقديم والتأخير وأهميته في إيصال المعنى، وأما عن المبحث الثالث فعالجنا فيه دور التقديم والتأخير في بلاغة الجملة وأغراضه.

أما الفصل الثاني: فتناولنا فيه " بلاغة التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف"، جاء تطبيقا لما عولج في الفصل النظري، وذلك باستخراج الأحاديث النبوية الشريفة التي ورد فيها هذا الأسلوب وتحديد الغرض البلاغي المتحقق، ومنه فقد قسمناه إلى مبحثين: نبذة قصيرة عن رياض الصالحين والتعريف بمؤلف كتاب رياض الصالحين.

والمبحث الثاني في التطبيق على الأحاديث النبوية التي احتوت على التقديم والتأخير، وختمنا بخاتمة لخضنا فيها أهم النتائج التي خلصنا إليها.

ونظرا لطبيعة المادة العلمية المطروحة التي قدمناها في البحث فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليل المناسب لدراسة هذا الموضوع.

واعتمدنا في إنجازنا لهذا البحث على العديد من المصادر والمراجع التي ساعدتنا على التوغل بين مختلف ثناياه، ومن بينها: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للقزويني، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، والبلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف، البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي...

وهناك من تطرق لدراسة هذا الموضوع من قبلنا حيث استفدنا من هذه الدراسات وعلى سبيل المثال فالدراسات التي سبقتنا لهذا الموضوع نذكر:

- محمود سليمان أحمد مسمح: البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني فتح القدير، أطروحة ماجستير.
- تقبايت حامدة: قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة ماجستير.
- رملة رشيد إسماعيل الناصري: التقديم والتأخير في صحيح البخاري.
- عبد الرحيم عزاب: بنية الإيقاع في الخطاب القرآني جماليات التقديم أنموذجا.

ومنه فإن التقديم والتأخير أسلوب بلاغي تتبارى فيه الأساليب وتظهر المواهب في القدرات، وهو دلالة على التمكن والفصاحة، وحسن التصرف في الكلام، فإنك إن قدمت الألفاظ أو أخرتها تحتل مكانتها تبعًا لترتيبها في المعنى.

ومنه فقد لقيت ظاهرة التقديم والتأخير اهتماما بالغا من طرف علماء النحو والبلاغة، فقد ألف العديد من البلاغيين مؤلفاتهم في هذا المجال أو في هذا الجانب منذ زمن بعيد نذكر منهم: عبد القاهر الجرجاني الذي

أرسى قواعد هذا الأسلوب في كتابه "دلائل الإعجاز"، فكانت دراسته للموضوع دراسة عميقة مفصلة، وكذلك أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين"، وابن جنى في كتابه "الخصائص" وغيرهم.

والتقديم والتأخير موضوع صعب يحتاج في دراسته إلى دقة كبيرة، للتعرف على المعاني والأغراض التي كان من أجلها التقديم والتأخير.

إذًا ما هي أهمية التقديم والتأخير في الدرس البلاغي وما دوره؟ وما الغرض البلاغي للتقديم والتأخير في نص الحديث النبوي الشريف؟ وما هي رؤية النحاة والبلاغيين للتقديم والتأخير؟.

وقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء إنجاز هذا البحث منها: ضيق الوقت المخصص لإنجاز البحث، وتشعب المادة المعرفية في طرح الموضوع بشكل موسع، وقلة الدراسات التي تناولت موضوع التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف، لكن حاولنا انتقاء الأنسب.

مدخل

ثمة علوم كثيرة تدين للقرآن الكريم بالفضل في نشأتها وتطورها، لأن القرآن هو أبلغ كلام وُجّه للبشرية عامة، وتعد البلاغة في طليعة هذه العلوم ومقدمتها، فقد أفادت إفادة بالغة من الدراسات الوفيرة التي أُلفت حول النص القرآني[1]. والحديث النبوي الشريف كذلك يعد أفصح وأبلغ كلام قالهُ خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يعد أعلى درجة في الفصاحة والبلاغة إذ أنّ معنى البلاغة في اللغة: هي الوصول والانتهاء، ويقال بلغ فلان مرادهُ يعني وصلَ إليه. أو أدرك غايته أو أدرك مناه وبلغ إلى قصده، ويقال: بلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، ومبلغ الشيء منتهاهُ.

كما تعد البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى حال الخطاب مع فصاحة ألفاظ مفردها ومركبها، أي ما يستلزمه مقام الكلام.

ولهذا نستطيع أن نقول أن معظم البلاغيين تأثروا بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي يأتي بعد القرآن الكريم في المنزلة من حيث الإجلال والاحترام والإكبار، ناهيك عن الدقة في التعبير والجزالة في الألفاظ والقوة في الأسلوب والحجة والمنطق والتأثير في النفوس، ففي أقواله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، وروائع حكم، استمد القوة في القول من القرآن الكريم، وأوحي إليه به من الرحمن الرحيم، لكلامه جلال لا تجده في سواه وتحيط به هالة روحية وقال صلى الله عليه وسلم: " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش".[2]

كما خصّ الله تعالى سيد الرسل بكمال الفصاحة بين البدو والحضر وأنطقه بجوامع الكلم فأعجز بُلَغَاء ربيعة ومضر، وأنزل عليه الكتاب المُفحَم بتحديه **مصاقع** بلغاء الأعراب، وأتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصْل الخطاب، ومنحهُ الأسلوب الحكيم في جوامع كَلِمِهِ.

علوم البلاغة من أجلّ العلوم الأدبية قدرًا، وأرسخها أصلًا وأسبقها فرعًا وأحلاها جنى، وأعذبها وردًا لأنها العلوم التي تستولي على استخراج سر البيان من معانيها.[3]

---

[1] بثينة أيوب وأحمد محمود المصري : قضايا بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2005م، ص 35.

[2] راضي محمد عيد نواصرة : البلاغة والبيان وفصاحة الكلام عند سيدنا الإمام، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، عمان الأردن،ط1، 2011م، ص ص48- 114 .

[3] أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية بيروت، د ط، د ت، ج1، ص ص 13-19.

والبلاغة بفنونها الثلاثة المعاني- البيان- البديع وسائر الفنون الأدبية التي نبّه عليها أدباء العرب، وكذلك سائر المذاهب الأدبية المستوردة من الشعوب غير العربية ليست إلا بحوثا وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام. ومنه فتربية الذوق والملكة البيانية، مع تلقائية الأداء التعبيري لدى إنشاء الكلام كتابة أو ارتجالا عند من يملك الاستعداد لأن يكون أدبًا بليغًا، هي الكفيلة بتفجير الإبداع المطلوب في الأدب، شرط عدم الخروج عن ضوابط قواعد اللغة وأصول البيان.

فالغرض من الكلام التعبير عما في الفكر ومشاعر النفس وأحاسيسها بألفاظ دالة على ما يريد المتكلم التعبير عنه.

ولكي يكون الكلام بليغًا لابد أن يكون مطابقًا لمقتضى حال المخاطب وكذلك التزامه بقواعد اللغة وضوابطها في مفرداتها وتراكيب جملها، ناهيك عن خُلُوِّه من التعقيد اللفظي، والتعقيد المعنوي.[1]

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " إني أوتيت جوامع الكلم" يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب قاطبة، ومبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشِعَابِ، إلى خير أمة بأفضل كتابه.[2]

ومنه فقد بلغ البيان النبوي من نفسه مكان الرضا والاستبشار، فالتمثيل الأدبي أرقى ما تعرف من صور البيان، فقد أجاد نابغة البلاغة العربية "عبد القادر جرجاني" في وصف تأثيره النفسي. وحين نتحدث عن الصور البيانية في أدب محمد صلى الله عليه وسلم إنما نتحدث في لون من ألوان الإبداع النبوي، جاء على أكمل تمامه وأبهى أصباغه وأورف ظلاله، وبه ارتفع أسلوبه إلى منزلة لم يبلغها أديب في العربية، ولن نرسل القول دون تدليل فإن المتتبع للآثار النبوية يجد صورها الفنية من أحسن المثل لما تنجذب إلى النفوس من القول، لما خطر عليه صلى الله عليه وسلم من معرفة عناصر التأثير في البيان، وأوجه الجمال في اللسان، فجاء حديثه النبوي من البلاغة العالمية في موضع تتطلع نحو الأبصار وتتقاصر دونه الأعناق.[3] فازدهر علمي البيان والمعاني على يد "عبد القاهر الجرجاني"إذ استطاع بعبقريته الفذة أن يضعها وضعًا دقيقا.[4] كما أنه هو الذي أقام أركان علم المعاني، وعَقَدَ وقَعَّدَ أصوله وهذَّبَ مسائله في كتابيه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة. على الرغم من أن العلماء، قد سبقوه في

---

[1] عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة الميداني الدمشقي: البلاغة العربية، دار العلم بيروت، ط1، 1416هـ-1996م، ج2، ص ص 11-12-13.

[2] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيرت ،لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م، ص 15.

[3] محمد رجب البيومي: البلاغة النبوية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1429هـ-2008م، ص ص 237-246.

[4] شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، النيل القاهرة، ط6، د ت، ص 05.

الإشارة إلى نتف من أمثال الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين"، وأبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين " الكتابة والشعر".[1] وعليه فالنظر إلى الأدب – بصفة عامة- هو تعبير جميل عن فكرة جميلة، وكانت علوم البلاغة هي الثمار التي أنتجتها تلك المحاولات لإحصاء مظاهر الجمال والروعة في التعبير الأدبي وما يمكن في هذا التعبير من دقائق وأسرار، فعلماء اللغة، وعالم النحو وعالم التفسير أو الفقه أو الأصول أو الكلام وغيرهم كل هؤلاء، كتبوا في البلاغة وقدموا من خلال بحوثهم دروسا وأصولا وقواعد تخدم البلاغة في الصميم.[2]

وبما أنها من العلوم الإسلامية العربية، وهي ليست محصورة على العرب ولا على أمة دون أمة، إنما هي سمة عظيمة القدر في اللغات التي بلغت درجة كبيرة في التطور والارتقاء، كما أنها ليست مقصورة على أناس دون سواهم ولا على لسان دون لسان، بل هي مقسومة على الألسنة وهم فيها مشتركون... وتتصف الأفكار البليغة عادة بالقوة والجدة والتحديد والتسلسل فإذا عرفت هذه الأوصاف الجيدة على بيان محمد صلى الله عليه وسلم فأنت ماذا واجد؟. أما قوة أفكاره: فما لا يرتاب فيه إلا خصومه، لأن الذي ينقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، لابد أن يكون ذا فكر قوي غلاب، وإذا كان البيان أكبر وسائله في الإقناع والتأثير، فلا بد أن تكون الأفكار التي يصورها هذا البيان من القوة بحيث ترجّ العقائد المتأصلة في النفوس رجًا، وحقًا كان ذا فكر متسع شامل، فهدف محمد صلى الله عليه وسلم هو أن يعيد للإنسانية كرامتها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنّ من البيان لسحرًا"، فالسحر تطلق لتصور أقوى من يحس به القارئ من التأثير دون أن يحدد أو يخصص.[3]

وقد نهج النبي صلى الله عليه وسلم نهج العرب في كلامه، وحذا حذوها في أساليبها البلاغية، فَنَوَّعَ في الأسلوب وفي طريقة العرض فكان التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف آلية من آليات أو أسلوب من الأساليب التي تحمل جمالية في التعبير[4]، باعتباره فرع من فروع علم المعاني بلاغيا، كما أنه فنية من فنيات علم البلاغة، فالغاية الفنية التي دعت إلى التقديم أو التأخير، أو الحذف، أو التنكير، أو التعريف نكون قد تعلمنا

---

[1] حميد آدم ثويني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، عمان، 1427هـ، 2007، ص 57.

[2] فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو مصرية، د ط، 2005م، ص 03.

[3] راضي محمد سيد نواصرة: المرجع السابق، ص ص ص 75 – 225- 311- 318.

[4] أميمة بدر الدين: بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، العدد الثالث والرابع، 2010م، المجلد 26، ص 50.

القاعدة النحوية والمعنى المراد منها، أو الغاية منها في آن واحد، وبعبارة أخرى نكون قد ملكنا الجسد الذي هو القاعدة- والروح- الذي هو المعنى.[1]

فتقديم الكلمة وتأخيرها في الحديث النبوي الشريف يضفي عليه جماليات فنية تعطي الكلام وتكسبه ذوقًا تعبيريًا رائعًا، فالإنسان كلما قدَّم وأخر في الكلمة زادت المعنى قوة، والقارئ من خلال هذه الجمالية بإمكانه أن يتمرن على أسلوب الحديث النبوي الشريف لما ندرسه من الناحية البلاغية.

[1] بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ط10 2005م، ج1، ص 49.

الفصل الأول:

ماهية التقديم والتأخير وأهميته

- ❖ تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحا
- ❖ أنواع التقديم والتأخير وأهميته في إيصال المعنى
- ❖ دور التقديم والتأخير في بلاغة الجملة وأغراضه

المبحث الأول: تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف التقديم

أ–لغة:

قدَمَ يقدُمُ وتقَدَّمَ يتقدَّمُ وأقدم يُقدِمُ واستقدم يستقدِمُ بمعنى واحد، وفي التنزيل العزيز« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» **سورة الحجرات الآية 01**، وقرئ لا تقَدَّمُوا، قال الزجاج: معناه إذا أمرتم بأمر فلا تفعلوه قبل الوقت الذي أمرتم أن تفعلوه فيه، وجاء في التفسير: أن رجلا ذبح يوم النحر قبل الصلاة، فتقدّمَ قبل الوقت فأنزل الله الآية وأَعْلَمَ أن ذلك غير جائز.

وقال الزجاج في قوله « وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ »: في طاعة الله « وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ»: فيها.[1] **سورة الحجر الآية 24.**

وقَدَمَ وقَدِمَ وأقْدَمَ وتقدم واستقدمَ بمعنى كما يقال اِسْتَجَابَ وأجَابَ.[2]

والقَدَمُ: ما يطأ عليه الإنسان من لَدُن الرُّسْغِ فما فوقه.

وقَدَمَ فلان قومَه، أي يكون أمامَهم، يقْدُمُ قومه يومَ القيامة من ههنا.

والقدُمُ المُضِيُّ أمَامَ، وتقول يمضي قدُمًا أي لا ينثني.

وقديدِمة تصغير قدَّامٍ، وهو خلاف وراءٍ.

والقدُمُ ضدُّ الأُخُرُ بمنزلة قُبُلٍ ودُبُرٍ.[3]

واستقدمَ أي تقدَّمَ.[4]

---

[1] جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري:لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م 1426هـ، ج7، ص 427.

[2] ابن منظور : المصدر نفسه، ص 428. مادة "قدم".

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مكتبة لبنان، ط1، 2004م، ص 659. مادة "قَدَمَ".

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي :المصدر نفسه ،ص 660. "مادة قدم".

والقَدَمُ والقدمة: السابقة في الأمر، وتقدّمَ كقَدّمَ وقدَّمَ واستقدمَ: تقدَّمَ. [1]

- قَدَّمَ- [ق د م] قدّمتُ، أقدِّمُ، قَدِّمْ

تقديمٌ قدَّمَهُ إلى مكان الحفل: سبقه " قدّمه على غيره: فضّله، جعله في المقدّمة".[2]

ب –اصطلاحا:

هو وضع الشيء أمام غيره وقد كان خلفه. [3]

المطلب الثاني: تعريف التأخير

أ– لغة:

الأُخُرُ بضمتين ضد القُدُمِ. وتأَخَّر وأخر تأخيراً: استأخَرَ وأَخَّرته لازمٌ مُتعدٍّ. وآخِرَةُ العين ومؤخّرها، ما وليَ اللحَاظُ كمُؤْخرها.

والآخر خلاف الأول وهي بهاءٍ.[4]

تقول: هذا أخرُ. وهذه أخرى ذو الأخِرُ والأخِرة نقيض المتقَدِّم والمتقدمة ومُقَدَّمُ الشيء ومؤخِّرُهُ.

وآخِرَة الرجل وقادمتُه، ومُقدِم **العين** ومُؤَخِرها، في العين خاصة بالتخفيف.

وجاءَ فلانٌ أخيراً أي: بِأَخَرَةٍ. وبعتُه الشيء بِأَخَرَةٍ أي: بتأخير.

وفَعَلَ الله بالآخِرِ أي: بالأَبْعَدِ.

والآخِرُ: الغَائِبُ، والآخُرُ نقيض القُدُمِ: تقول: مضَى قُدُمًا، وتأخرَ أخرَ أُخُرًا. ولقيتُه أُخْرِيًا أي آخِرِيًّا.[5]

---

[1] ابن منظور : المرجع السابق،ص ص 426 -427

[2] المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، المجلد السابع، ص 221، مادة " قَدَمَ".

[3] مختار عطية: التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ط، د ت، ص 15.

[4] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية بيروت،لبنان، تح أبو الوفاء نصر الهوريين، ط3،2009م1430هـ ص 367. مادة " أَخَّرَ".

[5] الخليل بن أحمد الفراهيدي:المصدر السابق،ص 11. مادة " أَخَّرَ".

ويقال الأخير الأبعد،وأخرى القوم أخرياتهم، قال أنا الذي ولدت في أخرى الإبل وأما أُخَرُ فجماعة أخرى.[1]

آخر: في أسماء الله تعالى: الآخِرُ والمؤخِرُ، فالآخِرُ هو الباقي بعد فناء خَلْقِه كله ناطقهُ وصامتهُ والمؤخِرُ هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في موضعها، وهو ضدّ المُقَدِّم، والأُخُر ضدَّ القُدُم.

تقول مضى قدمًا وتأخر أُخُرًا، والتأخُرُ ضدَّ التَقدّم.

والتأخير ضدَّ التقديم، ومؤخر كل شيء بالتشديد: خلاف مُقَدَّمِه.

الآخِرُ والآخِرَة نقيض المتقدم والمتقدِّمة، والمستأخِرُ نقيض المستقدم.[2]

ب- اصطلاحا:

يعني وضع الشيء خلاف غيره وقد كان أمامه.

وقد اعتاد العرب تقديم ماحقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى.

وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته، وذلك بجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة **يقول الثعالبي:** العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره كما قال عز وجلّ: « **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**». **آل عمران الآية 43. وكما قال تعالى:** « **فمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**» **سورة التغابن الآية 2. وكما قال تعالى:** « **يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ**». **سورة الشورى الآية 49.** قال تعالى: « **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».[3] **سورة الأنبياء الآية 33.**

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: المصدر السابق ، ص 11. مادة " أَخَّرَ".

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج 3، ص 12. مادة " أَخَّرَ".

[3] مختار عطية: التقديم والتأخير، ص 15.

المطلب الثالث: التقديم والتأخير عند النحاة والبلاغيين

اصطلح النحاة على ترتيب محدد للجملة الفعلية، فنصوا على أن الأصل فيها أن تتكون من الفعل (**المسند**).

- والفاعل (**المسند إليه**)، والمفعول به (**القيد أو الفضلة**) إذا كان الفعل متعديا.

ووضعوا شروطا معينة لتقديم أحد العناصر على غيره.

- وأحاطوا العنصر المتقدم بسياج من القيود والمواصفات، وأسهبوا في الحديث عن وجوب وجواز التقديم.

ويعتني النحاة بالرتب المحفوظة الثانية أي: معرفة ترتيب الجملة الفعلية (**فعل وفاعل ومفعول به**)، وترتيب الجملة الاسمية (**المبتدأ أو الخبر**).

- والرتب المتغيرة في الجملة أي: تقديم المفعول به على غيره وما لا يجوز.

أما البلاغيون والأسلوبيون فغايتهم الكشف عن قيمته الدلالية والفنية في العمل الأدبي، انطلاقا من مبدأ أساسي، فلا يحدث تقديم أو تأخير إلا لغرض بلاغي غير مقصود.[1]

أما التقديم والتأخير عند الجرجاني لا يأتيان للاهتمام أو للعناية، وإنما يأتيان لتحرير المعنى وضبط الدلالة.[2]

فالمعنى الأساسي الذي يفيد التقديم والتأخير هو بعبارة القدامى من البلاغيين " العناية والأهمية في الذكر".

فبمجرد أن يحل العنصر المتقدم المحل الجديد له في الجملة (وكذلك العنصر المتأخر) حتى ينضاف معنى جديد خفي وهو قصد المتكلم إيلاء أهمية كبرى للعنصر المتقدم وعناية أخص.

---

[1] عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط1، 2012م، ص 210.

[2] طالب محمد إسماعيل الزوبعي: البلاغة العربية علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1 1997م، ص 89.

وعليه فالتقديم والتأخير يقعان بتحويل لفظ من مكان إلى مكان. كتقديم الليل على النهار أو الإناث على الذكور في الذكر.[1]

كما أن التقديم قد يرد لجواب إنكار أو للاهتمام أو غيرها.[2]

كما أضاف الطوفي البغدادي[3] مفهوما آخر للتقديم والتأخير بقوله: " **هو جَعْلُ اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية أو ضرورة**".[4]

والمقصود من القول هو وضع اللفظ في موقع غير موقعه الأصلي يكون هذا الموقع قبل أو بعد وذلك لعارض الاختصاص أو أهمية أو ضرورة.

ويقول الزركشي أيضا " هو أحد أساليب البلاغة. فإنهم أثوابه دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق".[5]

فالقول يدل على أن التقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة، فالإنسان هو الذي له القدرة على تقديم وتأخير اللفظ أو الكلمة من مكان إلى مكان. وهذا دليل كاف على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام مما يولد في قلوبهم أحسن موقع وأعذب مذاق.

ويضيف "الخليل" حين يعرض التقديم والتأخير، بقوله أن بعضه حسنٌ وبعضه قبيحًا، إذ لا يبين لنا السر البلاغي في التقديم وإنما يكتفي بضرب الأمثلة على هذا النحو ويعقب عليه بأنه عربي جيد، ولم يكن "كسيبويه" حين عرض أمام أعيينا السر البلاغي للتقديم، وقال إنه للاهتمام به والعناية بشأنه، أو إنه يأتي للتنبيه عليه[6] ومن هنا فقد أبدع "عبد القاهر الجرجاني" في شرح قواعد هذا الفن وبيان فائدته البلاغية، حيث كان الناس من قبله

---

[1] الباشا العيادي: البلاغة، دار محمد علي حامي للنشر، صفاقس الجديدة، ط2،2002م، ص ص 47-48.

[2] طالب محمد إسماعيل الزوبعي: البلاغة العربية ، ص 115.

[3] محمود سليمان أحمد مسمح: البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني (فتح القدير)، أطروحة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية – غزة، 1428هـ، 2007م، ص 99.

[4] بن عيسى باطاهر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 110.

[5] محمود سليمان أحمد مسمح: المرجع السابق، ص 99.

[6] عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص 59.

يتحدثون عن التقديم والتأخير حديثا عاما فيقولون: إنما يقدم الشيء للاهتمام به. وكذلك ابن الأثير يرى أن الهدف من التقديم والتأخير هو التفنن في القول.[1]

[1] بن عيسى باطاهر: المرجع السابق، ص 111.

المبحث الثاني: أنواع التقديم والتأخير وأهميته في إيصال المعنى

المطلب الأول: أنواع التقديم والتأخير

أولا: التقديم والتأخير في الإثبات

أ- تقديم المفعول على الفعل والفاعل:

يرى ابن جني أن تقديم المفعول على الفعل الناصبة تقديم يقبلهُ القياس ويمثل له بقولهم: "زيد ضرب عمرو"، وربما يأتي هذا التقديم لنفي اعتقاد غير صحيح، بقول السكاكي: (أن يكون هناك من اعتقد انك عرفت إنسانًا وأصاب لكن أخطأ، فاعتقد ذلك الإنسان غير زيد وأنت تقصد رده إلى الصواب فتقول زيدا عرفت) فكأن القائل يجمع إلى نفي الاعتقاد تخصيص الفعل- أي المعرفة.[1]

وقد يتقدم المفعول به على فعله إذا كانت العناية بتقديمه أشد والاهتمام بشأنه أكبر.[2]

وكما يتقدم المفعول على الفعل فهو يتقدم على الفاعل أيضا، وتكون له دلالة بلاغية تستدعيها غاية الكلام.[3] فكما نعلم أنه لابد من رصد التركيب النحوي للجملة الفعلية التي حدث فيها انحراف في المعيار النحوي؛ لأن ملاحظة تشكيل التركيب النحوي يسهم في استنباط القيم الدلالية للانزياح في التركيب، فالشاعرية لا تقتضي اختيار الألفاظ فحسب بل تتطلب كيفية ترتيب الألفاظ، لخلق نسيج نحوي قادر على كشف الأبعاد الفكرية والوجدانية للمبدع من جهة، وإيصال الرسالة بأكبر طاقة تأثيرية للمتلقي من جهة ثانية. ومثال ذلك قوله تعالى: « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » **سورة فاطر الآية 27- 28.**

فهنا تقدم المفعول به "الله" على الفاعل "العلماءُ" والغرض من التقديم والتأخير في هذه الحالة أن يبين الخاشعين منهم، ويخبر بأنهم العلماء دون غيرهم.[4]

---

[1] مختار عطية: التقديم والتأخير ، ص ص 29-30.

[2] عبد الرحيم عزّاب: بنية الإيقاع في الخطاب القرآني جماليات التقديم والتأخير نموذجا، مقاربة أسلوبية، مجلة الناص، العدد الثامن مصدر عن قسم اللغة والأدب العربي بجامعة جيجل، الجزائر، مارس 2008، ص 139.

[3] مختار عطية: التقديم والتأخير ، ص 30.

[4] عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، ص ص 213-214.

ولو أخّر ذكر اسم الله، وقدم العلماء فقيل: إنَّما يَخْشَى العلماءُ الله لصار المعنى خلاف ما تقصده الآية ولصار الغرض بيان المخشى من هو، والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره وفي هذا لا تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء، ولا يختص العلماء بالخشية من الله تعالى كما تهدف الآية، ويصبح المعنى: أن غير العلماء يخشون الله تعالى أيضا. إلا أنهم مع خشيتهم الله يخشون معه غيره؛ والعلماء لا يخشون غير الله تعالى.[1]

كما يجوز تقديم المفعول به على الفعل والفاعل في عدة مواضع:

1- إذا كان من أسماء الاستفهام أو إذا كان مضافا لأسماء الاستفهام نحو: كتاب من أخذت.

أو إذا كان مضافا إلى كم الخبرية مثل ذنب كم مذنب غفرت- أو إذا كان منصوبا بجواب أمَّا وليس لجواب أما منصوب مقدم غيره كقوله تعالى: « **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**». **سورة الضحى الآية 10**

يجوز كذلك تأخير المفعول به على الفاعل نحو: **كتَب التلميذُ الفَرضَ**.[2]

وكذلك غالبا ما يتأخر الفاعل إذا كان للفظ الموت أو كان الفاعل نوعا من أنواع العذاب.[3]

ب- تقديم الظرف وتأخيره:

إن الظرف لا يخلو حالهُ إما أن يكون واردا في الإثبات أو يكون واردا في النفي، فإذا ورد في الإثبات فتقديمه على عامله إنما يكون لغرض لا يحصل مع تأخيره فلا جَرَمَ التَزَمَ تقديره، لأن في تأخيره إبطال لذلك الغرض، ثم هو على وجهين، أحدهما أن يكون واردًا دلالة على الاختصاص وهذا كقوله تعالى: « **أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**» . **سورة الشورى الآية 53**. لأن المعنى أن الله تعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره، ونحو قوله تعالى: « **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**» . **سورة الغاشية الآية 25-26**. وقوله: « **لهُ الْمُلْكُ ولهُ الْحمْدُ وهُو على كُلِّ شيْءٍ قدِيرٌ**» . **سورة التغابن الآية1**. فهذه الظروف لا وجه لتقديمها على عاملها إلا ما ذكرناه من الاختصاص، وثانيها أن يكون تقديمه من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي في التسجيع، وهذا كقوله

---

[1] عمر عبد الهادي عتيق : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، ص 214.

[2] نادين زكريا: الميسر في الصرف والنحو، دار الكتاب الحديث والنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، 2002م، ص ص 53-54.

[3] عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، ص 215.

تعالى: « **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** » . **سورة القيامة الآية 22–23**. ليطابق قوله: « **بَاسِرَةٌ ، فَاقِرَةٌ** » . **سورة القيامة الآية 24–25**.[1]

ونحو قوله: « **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** » .**سورة القيامة الآية 29–30**. وقوله: « **إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ** » . **سورة القيامة الآية 12**. ليطابق قوله: « **لما قَدَّمَ وَأَخَّرَ** » . **سورة القيامة الآية 13**. ومثل قوله تعالى: « **وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** » . **سورة مريم الآية 40**. فهذا وأمثاله إنما قدّم ليس من جهة الاختصاص وإنما كان من أجل ما ذكرناه من المطابقة اللفظية في تناسب الأي وتشاكلها، وقد يظن الظان أن تقديم الظرف إنما يكون مقصوراً على الاختصاص وليس الأمر كما ظنه كما حققناه، بل كما يحتمل المشاكلة كما أشرنا إليه فهو يحتمل الاختصاص فهما محتملان كما ترى والتحكم بأحدهما لا وجه له، وأما إذا كان وارداً في النفي فقد يرد مقدَّمًا، وقد يرد مؤخَّرًا فإذا ورد مؤخَّرًا أفاد النفي مطلقا من غير تفصيل، وهذا كقوله تعالى: « **لَا رَيْبَ فِيهِ** ». **سورة البقرة الآية 2**. فإنه قصد أنه لا يلصقُ به الرَّيْبُ ولا يخالطه، لأن النفي التصق، فلا جَرَمَ كان منتفيا من أصله، بخلافِ مَا لوْ قدِّمَ الظرفُ فإنه يفيد أنه مخالف لغيره من الكُتُبِ فإنه ليس فيه رَيْبٌ، بَلْ في غيره كما لو قلت لَا عَيْبَ في هذا السيفِ [2] فإنه نفْيُ العَيْبِ عَنْهُ لا جهة الإطْلاقِ، بخلافِ ما لو قلتَ هذَا السيف لا فيه عَيْبٌ ولهَذَا أَخَّرَهُ هُنَا وقدَّمَهُ في قوله تعالى: « **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** » . **سورة الصافات الآية 47**. لأن القصد هنا تفضيلها على غَيْرِهَا من غمُورِ الدنْيَا والمعْنَى أنَّه ليس فيها ما في غيرها من الغوْلِ، وهو الخُمَّارُ الذي يَصْدَعُ الرؤوس، أو يريدُ أنها لا تغتالُهُمْ بِإذهَابِ عقُولهِم كمَا في خُمُورِ الدُّنيَا (**ولا يُنزَفُون**) أي لَا يَسْكُرُونَ من الإِنْزَافِ وهو السُّكْرُ.[3]

وكذلك تقديم الظرف فإنه إذا الكلام مقصوداً به الإتيان فإن تقديمه أولى من تأخيره وفائدة إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره فإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره وكلا هذين

---

[1] السيد يحيى ابن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني: الطراز، تح، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ 1990م، ص 236.

[2] السيد يحيى ابن حمزة: المرجع نفسه، ص ص 236– 237.

[3] السيد يحيى ابن حمزة: المرجع نفسه، ص 237.

الأمرين لهما موضع يختص به فإن تقديمه في النفي فإن تقصد به تفضيل المنفي عنه على غيره وأمّا تأخيره فإنه يقصد به النفي أصلًا من غير تفضيل.[1]

ت- تقديم شبه الجملة:

إنَّ تقديم الجار والمجرور على عناصر الجملة الفعلية يوحي بأن دلالة شبه الجملة المتقدمة أهم من دلالة عناصر الجملة نفسها، وهذا يعني أن مصطلح "فضلة" أو "قيد" الذي نص عليه النحاة في تقسيم أركان الجملة الفعلية لا يعني غياب القيمة الدلالية ومنه قول الأخطل:

إليكَ أبا حَرْبٍ تَدَافَعْنَ بَعْدَمَا وَصَلنَ لِشَمْسٍ مَطْلَعاً لِغُرُوبِ

إليكَ أبا مَرْوَانَ يَمَّمَ أَرْكُبٌ أَتُوكَ بأنضاءِ خِفَافٍ لُحُومُهَا

إليكَ من الأغْوَارِ حتى تَزَاحَمَتْ عُرَاهَا عَلى حِوَنٍ قَليلٍ شُحُومُهَا

من خلال هذه الأبيات نرى أن شبه الجملة **إليك** تقدمت على الجمل الفعلية التي اختصت بالرحلة إلى الممدوح وهذا يعني أن غاية الرحلة هي المحور الدلالي في ذهن الشاعر، وليس الرحلة ذاتها، لذلك تقدمت شبه الجملة العائد على الممدوح في قوله تعالى: « **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**» . **سورة إبراهيم الآية 12**. وفي قوله عز وجل أيضا: « **عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا**» .**سورة الأعراف الآية 89**. وفي قوله تعالى أيضا: « **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**» .**سورة هود الآية 88**. ففي هذه الآيات الكريمة تقدمت شبه الجملة (الجار والمجرور) للدلالة على الاختصاص لأن التوكل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده.[2]

وشبه الجملة هو الظرف أو الجار والمجرور. وموقعهما في الجملة بعد الفعل لأنهما يتعلقان به، نحو قوله تعالى: «**أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**» **سورة الفاتحة الآية 7.**

ولكن قد يسبق الجار والمجرور أو الظرف المتعلق بهما لوجهة بلاغية معينة نحو:

1- التعظيم: كقوله تعالى: « **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**» **سورة فاطر الآية 10.**

---

[1] ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه د. أحمد الحوفي ود بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، د ت ص ص 216-217.

[2] عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، ص 218.

2-التحديد: فقد يحتاج الأمر إلى تحديد المكان أو الزمان، فيقدم المتكلم ظرفه، كقولك: « إلى الكعبة المشرَّفة وَجَّهتُ وجهي»، أو كقول عبد الكريم الكرمي:

غدًا سنعود والأجيال تُصغي إلى وقع الخُطا عند الإياب

- الاستخفاف: فقد يستخف المتكلم الشاعر بالمهجو، فيقدَّم شبه الجملة على الفعل. كقول المتنبي في هجاء خصومه:

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنَفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُربٌ وَلَا عَجَمُ؟

- الأهمية كقوله تعالى: « **وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** » . **سورة السجدة الآية 24.**

- مراعاة الفاصلة القرآنية: إن من البلاغة القرآنية توازن الجمل مع توالي الفواصل، كقوله تعالى: **وبالأَسحَارِ هُمْ يستَغْفِرونَ** فتقدم الجار والمجرور على متعلقه الفعل يستغفرون مراعاة للفاصلة قبله: « **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** » .**سورة الذاريات الآية 17-18.**

كما أنهم يخالفون ترتيب الفضلات في الجملة لضرورات بلاغية؛ فالأصل في ترتيب الجملة أن يأتي الفعل أولا، ثم يليه الفاعل، فالمفعول به، فالحال، فشبه الجملة، نحو: رأيت البلبل واقفا على الغصن، لكنهم قد يغيرون من الترتيب.[1]

ث- تقديم الحال وتأخيره:

يجوز تقديم الحال على عاملها، وكذلك على صاحبها، ولكن بشروط منها:

* تقديم الحال على صاحبها:

1- يجوز تقديم الحال على صاحبه بشرط أن يكون صاحب الحال مرفوعا.

مثال: أقبل زيد مسروراً

الإعراب: زيد: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

[1] محمد التونجي: الجامع في علوم البلاغة المعاني البيان، البديع، دار العزة والكرامة الكتاب، وهران، ط1، 2013م، ص ص، 96-97.

مسرورًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

كما يجوز في هذا المثال تقديم الحال فتقول:

- أقبل مسرورًا زيد.

الإعراب:

مسرورًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مقدم على صاحبه زيد.

2- أو منصوبا:

مثال: - رأيت زيدًا مسرورًا.

الإعراب:

زيدًا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو صاحب الحال.

مسرورًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.[1]

فالحال تتقدم على صاحبها في موضع واحد ومثال ذلك:

وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشادِ، وَقَلَّمَا

يعودُ رَشيدًا صَالِحَ العَقل مَنْ يَغوَى

والتقديم هنا يعني التأكيد على المعنى الذي يبرزه الحال، ودليل ذلك أن الحال قد تعدد، وأن الحالين «رشيدًا» و« صَالِحَ العَقل» يستلزم وجود أحدهما وجود الآخر لفظا وتقديرًا.[2]

كما جاز تقديم الحال فتقول:

رأيت مسرورًا زيدًا.

---

[1] السيد خليفة: الكافي في النحو، دار ابن خلدون كلية الآداب، الإسكندرية، دط، دت، الجزء الثاني، ص ص 432-433.

[2] فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة، د ط، 1425هـ، 2004م، ص ص 206-207.

الإعراب:

مسرورًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مقدم على صاحبه المفعول به (زيدًا).

*** تقديم الحال على عاملها:**

1– يجوز تقديم الحال على عاملها إذا كان العامل فعلًا متصرفًا.

مثال: جاء **عمرو ماشيًا**.

الإعراب:

ماشيًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

– يجوز أن يتقدم على عامله فتقول:

ماشيًا جاء عمرو.

الإعراب:

ماشيًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مقدم على عامله.

2– أو وصفًا يعمل عمل الفعل مثل: منطلق عمرو مسرعًا.

مسرعًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

ويجوز أن تقول: مسرعًا منطلق عمرو.

الإعراب:

مسرعًا: حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مقدم.[1]

[1] السيد خليفة: الكافي في النحو ، ص ص 434-435.

كما يتقدم الحال على الفعل والفاعل للاختصاص أيضا، والتنبيه على هيئة صاحبه، كقولنا " ضاحكًا جاء زيد" بتقديمه على الفعل. وقولنا: " جاء ضاحكًا زيد" بتقديمه على الفاعل، ومثله " راكبًا جاء زيد" و" جاء راكبًا زيد"، ويتضح غرض الاختصاص هنا من حيث (لو أخر، يحصل التردد والاختيار المذكوران بين جاء زيد راكبًا، أو ماشيا، أو ضاحكًا وغيره من الأحوال.[1]

وقد تتقدم الحال على عاملها لدواع بلاغية، منها:

- الحصر: أي إذا كان صاحب الحال محصورًا، نحو: ما عادَ فَرِحًا إلّا المنتصرُ.

فالحال، "فرحًا" تقدمت على صاحبها "المنتصر" لأنه حصر بإلّا.

- بيان الحال: فإذا قلت: خاشعًا صليتُ، فأنت تبين حالك وأنت تصلي، ومثلهُ قولك: "يقظًا جَلَسْتُ".

- التلذذ: نحو: صامتا أمضيتُ يومي.

- الشماتة: نحو عنيفًا ضربت المجرم.[2]

ج- تقديم الخبر على المبتدأ:

تقديم الخبر على المبتدأ كسر للرتابة النحوية ومن شأنه أن يمنح المبدع طاقة تعبيرية لتنظيم انفعالاته وترتيب رغباته فيقدم ما يطفو على سطح وجدانه وفكره، ويؤخر ما يترسب في أعماقه، وعليه فالتقديم مرآة تنعكس عليها الأولويات الوجدانية والفكرية للمبدع، وهو في الوقت ذاته وسيلة للمتلقي لقراءة النص اللامرئي، لإدراك كنهه «إذ نرى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسّه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا يفضي إلى إفراز الصور المنشودة والانفعال المقصود» ومن هذا قوله تعالى: « **وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ**» .**سورة الحشر الآية 2.** فإنما قدم قوله مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله وهو خبر المبتدأ في أحد وجهيه، ليدل بذلك عل فرط اعتقادهم لحصانتها ومبالغة في شدة وثوقهم بمنعها إياهم، وأنهم لا يبالون معها

[1] مختار عطية: التقديم والتأخير ، ص 32.

[2] محمد ألتونجي: المرجع السابق، ص ص 95- 96.

بأحدٍ، ولا ينال فيهم نيلْ، وفي إسناد المنع والحصون إليهم دلالة بالغة على تقريهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعه لا ترمي حوزتهم ولا يغرون في عُقْرِ دارِهِمْ ولو أخَّرَ الخَبَرُ لم يعْط شيئا من هذه الفوائد.[1]

ومن هذا قوله تعالى في قصية إبراهيم: « قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ» .سورة مريم الآية 46. فقدم بذلك خبر المبتدأ ولم يقل: أنت راغب، ليدل بذلك على إفراط تعجبه في الميل عن عبادة الأصنام، ومبالغة في الاهتمام بأمرها، وواضعًا في نفسه أن مثل آلهته لا تنبغي الرغبة عنها ولا يصلح الإعراض عن عبادتها.

يقول الأخطل:

وفي كل عامٍ مِنْكَ للرّومِ غَزوةٌ بعيدةُ آثار السَّنابك والسَّرْب

ففي هذا البيت الشعري تقدمت شبه الجملة (الخبر) على المبتدأ (غزوة) للدلالة على ديمومة تصدي للممدوح للأعداء، فالتصدي أو الغزو واقع ومألوف ولا يحتاج إلى تقديم لإبراز أو التنبيه عليه، مادام مألوفًا فقد تأخر. أمَّا ديمومة الغزو والإصرار على مواجهة الأعداء فهو ما يحتاج إلى إبراز وتنبيه لذلك تقدم، والغزو لا يستأثر به، إلا أن الديمومة والتواصل هو الذي يميز الممدوح عن سواه، لذلك فصل بين الخير والمبتدأ بشبه الجملة "منك" للتأكيد على أن الديمومة تخص الممدوح دون سواه.[2]

تناول البلاغيون قضية تقديم الخبر على المبتدأ ضمن تقديم المسند- وحقه التأخير- على المسند إليه ويكون التقديم إما لتخصيص المسند بالمسند إليه، يقول حسان بن ثابت:

لهُ همٌ لا منتهى لكبارها وهمته المعزى أجلَّ من الدهر

فالكثير من البلاغيين يرون أن الغرض من هذا القول هو التنبيه على أن المسند خبر لا نعت، وقد اعترض كذلك أحد الباحثين على هذا الغرض بأن (التقديم هو إحدى الظواهر الفنية التي تقوم بوظائفها التعبيرية في لغة الشعر... وما نظن أن الشاعر حين يلجأ إلى التقديم يدور بخلده مثل هذا الغرض الذي ليس سوى لون من ألوان التوجيه الإعرابي لا غير) ويرى أن الغرض هنا هو التخصيص، كما يمكن أن يكون غرضه التفاؤل.

كقول الشاعر:

---

[1] عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، ص 216.

[2] عمر عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص 217.

ثَلَاثَةٌ تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

فهذا البيت غرضه التشويق إلى ذكر المسند إليه، وقوله (ثلاثة ثورة المحبة: الأدب والدين والتواضع). ويفرق "العلوي"– في تناوله البلاغة تقديم المسند– بين الاختصاص والتخصيص كغرضين من أغراض المسند إذ يقول:

إني نحو ذلك: **قام زيد في "زيد قام"** فلو أخِّر الخبر فليس فيه إلّا الإخبار بأن زيدًا[1] قائم لا غير من تعرض لمعنى من المعاني البليغة بخلاف ما إذا قدمته وقلت " قائم زيد" فإنك تفيد بتقديمه أنه مختص بهذه الصفة من بين سائر صفاته من الأكل والضحك وغيرهما وتقديم الخبر على المبتدأ، أو تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية، هما تخصيص المسند بالمسند إليه، والاهتمام بالمسند بما يستدعي تقديمه لغاية بلاغية.[2]

ويضيف شاعر آخر في مجال الاختصاص بقوله:

إِلَيْكَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ رحَلْتهَا عَلَى الطَائِرِ المَيْمُونِ والمنزِلِ الرَّحبِ

فهو هنا أفاد من تقديم الخبر المتقدم على المبتدأ "إليك" اختصاص المخاطب (الممدوح) بالرحلة، فالشاعر يرمي إلى الإخبار عن مقصد الرحلة لا عن الرحلة ذاتها، فالوصول إلى الممدوح هو الغاية والرحلة هي الوسيلة، فإذا كانت الوسيلة تناظر المبتدأ، والغاية تناظر الخبر فإن الغاية أهم من الوسيلة، وعليه فإن الخبر أهم من المبتدأ والأهمية تقتضي تقديما وفي قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» سورة الأنعام الآية 59. قدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتح الغيب)، لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب، ألا ترى كيف أكد ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال: لا يعلمها إلّا هو؟.[3]

وهذا ما يعرف بالجواز،أي جواز تقديم الخبر،كقوله تعالى:« **سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**».**سورة القدر الآية 5.** فَسَلَامٌ خبر مقدَّم جوازا (وهي) مبتدأ مؤخر جوازا والأصل:"**هي سلام**" وكذلك قوله تعالى: «وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ». **سورة ياسين الآية 37.** فالليل مبتدأ مؤخر جوازا وآية خبر مقدَّم والأصل:" **والليل آية لهم**"، أما بالنسبة لوجوب تأخير الخبر عن المبتدأ أو بعبارة أخرى عدم الجواز في التقديم والتأخير بينهما وذلك في خمسة أمور هي:

---

[1] مختار عطية: المرجع السابق، ص ص 33- 34.

[2] مختار عطية: المرجع السابق، ص 34.

[3] عمر عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص 217.

1-استواؤهما في التعريف والتنكير مثل: صديقك صديقي وعدوّك عدوي.

1- أن يكون الخبر جملة فيها ضمير على المبتدأ مثل: محمد نجح، ففاعل نجح ضمير يعود على محمد.

2- أن يكون الخبر محصورا بإلّا أو بإنّما مثل: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» . **سورة آل عمران الآية 144**. و«**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**» . **سورة الحجرات الآية 10**.

3- أن يكون المبتدأ مقرونا بـ "لام" الابتداء مثل:« **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى**» . **سورة الضحى الآية 04**.[1]

4- أن يكون المبتدأ مما له الصدارة أي لابد أن يتصدر الكلام كأن يكون اسم استفهام، أو شرط أو غير ذلك مثل مَنْ يجتَهِد ينجحْ، مَنْ يَعْبُدُ غَير الله؟ أما عن وجوب تقديم الخبر وتأخير المبتدأ وذلك في أربعة مواضع:

1- أن يكون الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة مثل: للبيت ربٌّ يحميه.

2- أن يعود على الخبر ضمير من المبتدأ مثل: للدولة رئيسها.

3- أن يكون الخبر مما له الصدارة مثل: أين من ينصر الحق؟

4- أن يكون المبتدأ محصورا بإلّا أو بـ "إنّما" مثل: مَالَنَا إلا إتباع رسول الله.[2]

ح- التقديم في الخبر المثبت:

إذا قدم المسند إليه على خبره الفعلي في الإثبات نحو: أنا فعلت، وأنت فعلت، وزيد فعل، أفاد ذلك الاختصاص وإمّا التوكيد وتقوية الحكم حسبما يقتضي السياق وقرائن أحواله، ولا يخفى عليك أن إفادة الاختصاص تقتضي إفادة التوكيد فكل ما يفيد الاختصاص يفيد التوكيد لا العكس.

ومنه قوله تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» . **سورة التوبة الآية 101**. **وقوله أيضا:** «**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ**» .**سورة العنكبوت الآية 62**. فمن خلال هذه الآيات الكريمة نستخلص أن تقديم لفظ الجلالة قد أفاد الاختصاص، لأن الأفعال المذكورة مقصورة عليه تعالى لا تتعداه إلى غيره...

---

[1] إبراهيم قلاتي: قصة الإعراب جامع دروس النحو والصرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر ،دط، دت، ص 25.

[2] إبراهيم قلاتي:المرجع نفسه، ص ص 25-26.

وكذلك نجد ما يفيد التوكيد في قولنا: هو يعطي الجزيل، هو يحب الخير، إذا أردت أن تؤكد القيام بالفعل دون أن تقصره عليه ومنه قول الحماسي:

هُمْ يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سياح يبذ المغالبا

فهو هنا أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل ويقتعدون الجياد منها، وأن ذلك دأبهم، من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم، فتقديم الضمير "هم"، أفاد التوكيد وتقوية الحكم دون الاختصاص.[1]

خ- تقديم الاستثناء:

فالاستثناء نحو قولك: **"ما ضَربت إلا زيْدًا أحَدًا"**، فإنك إذا قدمته فإنه يفيد الحَصْرَ، وأنه لا مضر لك سواه، وهكذا لو قلت "اَحدًا إلاَّ زَيدٌ" فالسورتان دالتان على الحصر كما كان الاستثناء متصلا بالمفعول بخلاف قولك ضربت زيدًا فإنه غير مفيد للحصر، فكما يجوز أن تضربه يجوز أن تكون ضاربا لغيره وهكذا القول في غيره من المسائل فإنها تختلف حالها باختلاف التقديم والتأخير.[2]

د- تقديم متعلقات الفعل:

نقصد بمعلقات الفعل الزمان والمكان الذي يقع فيهما الفعل والجار والمجرور والحال، والمفعول.

فإذا قلت: اقرأ باسم الله متكئًا، في أثناء الليل أكتب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه كلها من متعلقات الفعل.[3]

كما يعرض لبعض متعلقات الفعل تقدم على صاحبه إمَّا:

لأصالته؛ كتقدم الفعل على المفعول، وتقدم المفعول الأول على الثاني في باب أعطيت وإما لكونه أهم من غيره نحو: قتل الخارجي فلان إذا كان الناس مهتمين بقتله دون تَعَيُّن قاتله، وبالعكس إذا كان رجلًا ضعيفا، لا تتخيل من مثله أن يكون قاتلًا، فقتل كافرًا، فقال: قتل الرجل كافرًا. ومن باب تقديم الأهم قوله تعالى: « **وَلا تَقْتُلُوا**

---

[1] بشيوني عبد الفتاح فيُّود: دراسات بلاغية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط2 1426هـ- 2006م، ص 69.

[2] السيد يحي بن حمزة: المرجع السابق، ص 237.

[3] فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن، ط12، 1429هـ- 2009م، ص 241.

أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ». **سورة الأنعام الآية 151**. وقوله في موضع آخر« **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** » . **سورة الإسراء الآية 31**.

قدم المخاطبين في الأولى على الغائبين لأن الأولى خطاب للفقراء ولذلك[1] قال: ((**من إملاق**)). والثانية للأغنياء، ولذلك قال: (خَشية إملاق) فيكون تقديم المخاطبين في الأولى أهم بخلاف الثانية.

أو تقدم؛ لأن في تأخيره اختلال المعنى المراد، كقوله تعالى: « وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» .**سورة غافر الآية 28**. فإنه لو أخَّر الجار والمجرور عن يَكْتُمُ، أفاد كتمانه الإيمان من آل فرعون، لا أنه من آل فرعون.

أو لفائدة لفظية: كمراعاة الفاصلة، نحو: **قوله تعالى:** « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى» . **سورة طه الآية 67**.[2] قدَّم الجار والمجرور والمفعول به على الفاعل مراعاة للتناسب بين الفواصل المختومة بالألف.[3]

كما أنه قد تتقدم بعض متعلقات الفعل للضرورة الشعرية، كقول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يَلْطَم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

والتقدير: " ليس سريعًا إلى داعي الندى" على متعلقه وهو الصفة المشبهة "سريع" التي فيها معنى الفعل.

وقد حاول بعض الباحثين- كما تقدم- أن يجعل لهذا التقديم وجهًا آخر وغرضًا يبعد عن الضرورة الشعرية التي لا يعترف بها غَرضًا بلاغيًا فيقول: (حين قدم "إلى داعي الندى" إنما قدمه كي يعجل بذكره حتى يقرنه إلى لطم الخد[4]، ذلك الحدث الذي له صداه المرير في نفسه، وفي هذا الاقتران والتجاور بين لطم الخد وداعي الندى تبرز المفارقة والتناقض بين موقف ابن العم في الاستجابة لكليهما أي بين العجلة والاندفاع مع اللطم والتباطؤ والتقاعس مع البدل. ومنه فشواهدنا الشعرية العربية لا تزال بحاجة إلى تمعن وطول نظر.[5]

---

[1] عبد القادر حسين: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، مكتبة الآداب علي حسين، د ط، 1418هـ-1997م، ص 74.

[2] عبد القادر حسين: المرجع نفسه، ص 74.

[3] أمين أبو ليل:علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 1427هـ، 2006م، ص 56.

[4] مختار عطية: المرجع السابق، ص 36.

[5] مختار عطية: المرجع السابق ، ص 36.

ولكن ابن الأثير يرى أن تقديم متعلقات الفعل عليه يكون لواحد من الغرضين أحدهما الاختصاص والآخر مراعاة نظم الكلام وذلك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم وإذا أخر المقدم ذال ذلك الحسن وهذا الوجه عنده أبلغ وأوكَد في الاختصاص.[1]

إذ أن متعلقات الفعل لا تتخذ مواقع ثابتة في ما بينها، فمن الناذر أن نقرأ عددًا من الجمل ونرى التزامًا واضحًا في الترتيب بين متعلقات الفعل أو مكملات الجملة وربما يرجع ذلك إلى أنها لا تلعب دورًا أساسيا في تركيب الجملة العربية، ولا تحتفظ لنفسها برتبة محددة كما هو الحال بالنسبة للمسند والمسند إليه، ومن ثم فإن تحريكها من مواقعها لا يغير كثيرا من الوظيفة الدلالية للجملة، وإن كان يلعب دورا هاما في تحقيق الانسجام الصوتي في البنية الإيقاعية.[2]

ذ- تقديم بعض المعمولات على بعض:

تقدّم بعض المعمولات على بعض؛ لأسباب منها:

- أن يكون الأصل في ذلك البعض، التقدم على البعض الآخر، ولا مقتضى للعدول عن ذلك الأصل. نحو "هزمَ خالدُ الأعداء" قدّم "خالد"، على "الأعداء"؛ لأنه الفاعل الذي يلي الفعل لطلبه له، فإن وجد مقتضى للعدول عن ذلك نحو "عادَ المريضَ طبيبُهُ" أُخِّرَ الفاعل؛ لاتصاله بضمير المفعول، ولو قُدِّم مع الضمير، عاد الضمير على متأخر لفظًا ورتبة، وهو ممنوع.

- أن يكون ذكره أهم: بأن يكون تعلق الفعل بذلك المقدّم، هو المقصود، لغرض.

كما إذا قلت: "قبضَ على الشقي الشرطيُّ" قدّم المفعول؛ لأنه المقصود الأهم، للقضاء على الفساد، ولانتشار الأمن.

- أن يكون في تأخير المعمول إخلال بالمعنى المراد، كما في قوله تعالى: « **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**» . **سورة غافر الآية 28**. قدَّم " من آل فرعون" على "يكتم إيمانه"؛ لأنه لو عكس فقال: "رجل مؤمن

[1] عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 142.

[2] عبد الرحيم عزاب: بنية الإيقاع في الخطاب القرآني جماليات التقديم والتأخير ،ص138.

يكتم إيمانه، من آل فرعون" لتوهّم أنَّ " من آل فرعون" من صلة "يكتم" أي: "يكتم إيمانه من آل فرعون" فلم يفهم أنَّ ذلك الرجل، كان من آل فرعون، وفي هذا إخلال بالمعنى المراد.

– أن يكون في تأخيره إخلال بالتناسب، فتقدّم بعض المعمولات على بعض، لتستقيم الفاصلة[1]، فالأصل تقديم الفاعل على المعمول– والأصل في المعمول تقديم عمدته على فضلته، فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل.[2]

ثانيا: التقديم والتأخير في النفي

للتقديم والتأخير في صيغة النفي دلالات بلاغية عميقة، تحصل بين طياتها فروقا دقيقة في استخدامات المتكلم وإفهام المخاطب. وسبيل النفي في الكلام "ما" التي تفيد النفي صراحة لا ضمنًا.

ويتعلق هذا المبحث في حال النفي بما يقع فيه حال الإثبات من تقديم الفاعل والمفعول والجار والمجرور وغيرها. وكذا تقديم ألفاظ العموم "كل وجميع" وتقديم حرف السلب أو النفي عليها.[3]

أ– النفي بين الفعل والفاعل:

كان حديث البلاغي عبد القاهر الجرجاني عن التقديم والتأخير في باب النفي شبيها بحديثه في باقي الأبواب الأخرى نذكر مثلا باب الاستفهام، إذ ذهب إلى تقديم الفعل على الفاعل في باب النفي، يعمل على وقوع النفي على الفعل دون الفاعل، في حين يكون تقدم الفاعل على الفعل دالا على وقوع النفي على الفاعل دون الفعل، قائلا في ذلك: (إذا قلت: ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: (ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول، إلا أن الجرجاني لم يكتف بتلك الإشارة، وإنما أضفى على هذا الضرب دلالة التعميم والتخصيص، إذ نسب إلى حالة تقدم الفعل على الفاعل في باب النفي، دلالة التعميم أو العموم، في حين كان تقدم الفاعل على الفعل في هذا الباب دالا على تخصيص النفي بالفاعل لا الفعل على العموم يقول المتنبي:

وَمَا أنا أسقمت جسمي له ولا أنا أضرمت في القلب نارًا

---

[1] أمين أبو ليل: المرجع السابق، ص 56.

[2] فيصل حسين طحيمر العلي: البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1990م ص109.

[3] مختار عطية: المرجع السابق، ص 37.

فلم يرد المتنبي أن ينفي حدوث الفعل به على العموم، إذ أن الفعل ثابت موجود فإنما يراد أن ينفي أن يكون هو من تسبب بهذا الفعل، وهو المعنى الذي أفاد تقديم الفاعل على الفعل، فخصص النفي بنفسه، ولم يعممه على غيره، إذ يكون حينذاك نافيا للفعل لا الفاعل.[1]

وزاد على ذلك تأكيده ضرورة أن تراعي دلالة العموم والخصوص عند العطف على التركيب كهذا، بغية تحقيق الانسجام الدلالي في النظم، وبناء هذا يصبح القول (ما قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس)، لأن الأولى دالة على العموم والثانية كذلك بينما لا يصح القول: (ما أنا قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس)، لحصول التعارض الدلالي بين معنى الجملة الأولى والثانية، إذ تدل الأولى على الخصوص، في حين دلت الثانية على العموم والأمر نفسه في قولنا (ما ضربت إلا زيدًا)، فلو قال (ما أنا ضربت إلا زيدا، (كان لغوًا من القول، وذلك لأن نقض النفي بـ إلّا يقتضي ضربته، فهما يتدافعان، أي هناك تعارضًا دلاليا بين عناصر التركيب مما يؤدي إلى عدم وضوح الدلالة الناتجة من ترتيب كهذا.[2]

ب- النفي بين الفعل والمفعول:

قد يتقدم النفي الفعل تارةً، والمفعول تارة أخرى، فإذا تقدم النفي الفعل ثم وليهما المفعول في قولنا: " ما قابلت زيدًا" فإن المعنى على نفي المتكلم مقابلة زيد، لكنه لم ينف مقابلة غيره، وإذا تقدم النفي المفعول ثم وليهما الفعل في قولنا: "ما زيدًا قابلت" فإن المعنى على مقابلة قد تمت بين المتكلم وأحد من الناس، وظن السامع أن هذا الواحد هو زيد، فينفي المتكلم أن يكون زيدًا.

ومما يتصل بذلك أنه يصح إعقاب الفعل المنفى بفعل آخر مثبت، إذا كان الفعل متقدما عليه، فيقول القائل: " ما ضربت زيدًا ولكني أكرمته"، ولا يصح ذلك إذا كان المفعول متقدما عن الفعل، فمن العبث أن يقال: "ما زيدًا ضربت ولكني أكرمته" لأن المتكلم هنا غير منشغل بنفي الفعل الأول وإثبات الثاني، وإنما يدل كلامه على نفي المفعول الأول، فلابد أن تكون تتمة الكلام إثباتًا لمفعول آخر، لا لفعل آخر، فيصح قوله: "ما زيدًا ضربت ولكن عمرًا".

---

[1] ثرث حاكم الزيادي: الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، مؤسسة دار الصادق الثقافية للنشر والتوزيع العراق، ط1 1432هـ، 2011م، ص ص 230-231.

[2] ثرث حاكم الزيادي:المرجع نفسه، ص 231.

ويتفق مع ما سبق في الحكم "الجار والمجرور" في تقدمه وتأخره بعد أداة السلب، فإذا قال القائل: "ما بهذا أمرتك؛ فإن المعنى على إثبات أن هناك أمرًا، ولكنه يختلف عن هذا الأمر المشار إليه، أما إذا قال: "ما أمرتك بهذا" كان المعنى على نفي أن يكون صدر منه أمر بذلك، ولا يوجب قوله أن أمرًا آخر قد صدر منه.[1]

ت- التقديم مع النفي:

كما تأتي همزة الاستفهام في صدر الجملة، وقد وليها أحد ركني الجملة، أو أحد متعلّقاتها، فيكون للكلام دلالة من الدلالات التي تحدثنا عنها، كذلك تأتي أداة النفي في صدر الجملة.

- وقد وليها أحد ركني الجملة أو أحد متعلقاتها، فيكون للكلام معنى يختلف من بنية تعبيرية إلى بنية أخرى.

فحين يقول القائل مثلا: "**ما قلت هذا الكلام**" يكون المعنى نفي الكلام المشار إليه عن المتكلم، ومن الجائز حينئذ ألا يكون الكلام قد قيل أصلا، وأن يكون قد قاله أحد آخر سوى المتكلم.

فإذا جاءت أداة النفي أولا، ووليها المسند إليه المخبر عنه بفعل رافع لضميره بأن قال القائل " **ما أنا قلت هذا الكلام**" كان المعنى حينئذ مختلفا عن السابق، فالكلام هنا قد قيل بالفعل، لكن المتكلم ينفيه عن نفسه[2] ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عامًا.

كقولك: " **ما قلت شعرا قط**"، و "**ما أكلت اليوم شيئا**"، و"**ما رأيت أحدا من الناس**" ولم يصلح في الوجه الثاني، فلا يستقيم أن تقول: "**ما أنا قلت شعرا قط**"، و "**ما أنا أكلت اليوم شيئا**"، و" **ما أنا رأيت أحدًا من الناس**"، وذلك انه يقتضي المحال، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل، ورأى كل أحد من الناس، فنفيت أن تكونه.[3]

ومن نماذج هذا التقديم المسبوق بالنفي قول المتنبي:

وما أنَا أَسقمت جسمي به ولاَ أنَا أضرمتُ في القَلْبِ نارًا

---

[1] مختار عطية: التقديم و التأخير، ص 38.

[2] شفيع السيد: النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، د ط، ص 215.

[3] أبي بكر عبد القاهرالجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المدني بجدة، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3، 1413هـ، 1992م، ص 124.

فبناء العبارة في صدر البيت يفيد وجود السقم بجسمه، لكنه ينفي أن يكون هو السبب فيه أو الجالب له، وكذلك المعنى في الشطر الثاني، وبالأسلوب نفسه يقول المتنبي أيضا:

ومَا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن لشعري فيك نفسه شعر

فالشعر هنا مقول قطعا، لكن المتنبي ينفي أن يكون هو وحده القائل له ، وبسبب الفرق في الدلالة بين النسقين السابقين من أسلوب التقديم المسبوق بأداة النفي،يأتي اختلاف آخر بينهما في الاستعمال، فإذا قلت: "**ما قلت هذا**" صح أن تضيف إليه قولك " **ولا قاله أحد من الناس**".

-كذلك يصح أن تقول: " **ما ضربت زيدًا ولا ضربه أحد سواي**".

- أما في النسق الثاني: " **ما أنا قلت هذا**"، و" **ما أنا ضربت زيدا**" فلا يصح أن تقول في الأول: " **ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس**"، كما لا يصح أن تقول في الثاني: "**ما أنا ضربت زيدًا ولا ضربه أحد سواي**" لما يترتب[1] على ذلك من تناقض في الحالين. فجملة: " **ما أنا قلت هذا**" تفيد صدور القول بالضرورة عن أحد من الناس لكن المتكلم ينفي عن نفسه، وجملة " **ولا قاله أحد من الناس**" تفيد نفي صدور القول عن أي إنسان آخر وذلك تناقض.

وهكذا الشأن في المثال الثاني يفيد أوله وقوع الضرب على زيد قطعا، ويفيد آخره نفي وقوع الضرب عليه من أي إنسان.

- وثمة اختلاف آخر بين حالة تقدم أداة النفي وإيلائها الفعل، وتقدمها وإيلائها الاسم، فحين تقول: " **ما ضربت إلا زيدًا**" ويكون الكلام مستقيما[2]، ولو قلت: " **ما أنا ضربت إلا زيدًا**"، كان لغوا من القول، وذلك لأن نقض النفي بـ "**إلا**" يقتضي أن تكون ضربت زيدًا= وتقديمُك ضميرك وإيلاؤه حرف النفي يقتضي نفي أن تكون ضربته، فهما يتدافعان.[3]

وما قلناه عن تقديم الاسم المسند إليه مسبوقا بأداة النفي ينطبق على المفعول به إذا قدِّم وسبقته أداة النفي، فهناك فرق بين أن تقول: "**ما ضربت زيدًا**"، و "**ما زيدا ضربت**" من حيث يجوز مع العبارة الأولى ما لا

---

[1] شفيع السيد: المرجع السابق، ص 216.

[2] شفيع السيد: المرجع السابق، ص ص 216- 217.

[3] عبد القاهر الجرجاني: المرجع السابق، ص 126.

يجوز في العبارة الثانية؛ كذلك ينطبق على الجار والمجرور ففرق بين قولك: "**ما أمرتك بهذا**"، و ما بهذا أمرتك" ويمكن تبين ذلك من مراجعة ما ذكرناه من قبل.[1]

ث – النفي المتقدم لصيغة العموم والمتأخر عنها:

يتناول البلاغيون ذلك فيما يطلقون عليه نفي العموم وعموم النفي، فمن عموم النفي قول القائل: " **كل هذا لم أفعله**"، وهو ينفي الإثبات الخاص، بحيث لا يصح قوله إذا فعل بعضه. وأما نفي العموم فكقول القائل: " لم افعل كل هذا"، ولا ينفي قوله إثباتا خاصا، بحيث يصح قوله: " لم أفعل كل هذا بل بعضه".

ومنه قول أبي النجم:

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبًا كلّه لم أصنع

(فلو رفعت "كله" كان النفي عامًا، واستقام غرض الشاعر في تنزيه نفسه عن جملة الذنوب، ولو نصبته كان النفي نفيا للعموم، وهو لا ينافي إتياته ببعض الذنب، فلا يتم غرضه.

وقد وضع "البغدادي" ضابطا لذلك في قوله: (فإن تقدم حرف النفي أداة العموم سمي: سلب العموم وإن تأخر عنها سمي: عموم السلب).

ومن سلب العموم قول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

وقول الآخر: **ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد**

ومن عموم السلب قول النبي– صلى الله عليه وسلم–: "**كل ذلك لم يكن**" ردًا على سؤال ذي اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ أي: لم يكن واحد منها– لا القصر ولا النسيان.[2]

---

[1] شفيع السيد: المرجع السابق، ص 217.

[2] مختار عطية: المرجع السابق، ص 39.

ثالثا: التقديم والتأخير في الاستفهام

– يفرق البلاغيون في درس التقديم والتأخير في الاستفهام بينما كان التركيب فيه جاريًا على الاستفهام الحقيقي، وما كان جاريًا على الاستفهام التقريري، وما كان فيه الاستفهام فيه إنكاريًا، ولكل دلالته البلاغية وغاياته التي تحقق مغزى الكلام.

أ– التقديم والتأخير في الاستفهام الحقيقي:[1]

إن الاستفهام غالبا ما يأتي في الهمزة[2]، ومنه فالاستفهام يحكم بالهمزة مع الفعل الماضي، إذا تقدم الفعل تارة والاسم تارة أخرى بعد همزة الاستفهام، فإذا كان الغرض من السؤال متعلقا بمعرفة الاسم نفسه تقدّم، وإذا كان متعلقا بالشك في الفاعل يتقدم الاسم بعد همزة الاستفهام، ويتأخر الفعل ومثاله قول القائل " أَقُلْتَ الحقَّ" وضابط التقديم والتأخير في الاستفهام الحقيقي هو تقديم الفعل بعد الهمزة إذا كان لم يقع بعد، فإذا وقع وشوهد فلا معنى للسؤال عن الفاعل، بحيث يجوز سؤال السائل: " أَبَنَيْتَ الدار التي كُنْتَ على أنْ تبنيها" ولا يجوز:" أَبَنَيْتَ هذه الدار".

أما الاستفهام مع الفعل المضارع فهو إما لإرادة الحال أو الاستقبال، وإرادة الحال شبيهة بما تقدم من الاستفهام والفعل ماضٍ، وفي أحكام التقديم والتأخير في الاستفهام الحقيقي تستوي المعارف والنكرات، فإذا قال القائل: " أجاءك رجل؟" فإن مقصوده " هل كان مجيءٌ من رجل؟" وذلك عند تقدم الفعل، أما إذا قيل " أرجلٌ جاء؟" يتقدم الاسم النكرة بعد همزة الاستفهام، فإن المقصود الاستفسار عن الفاعل بعد الحكم بوقوع المجيء الذي هو الحدث نفسه، فتقدم النكرة إذًا على الفعل بعد همزة الاستفهام ويكون الغرض من تقديمها السؤال عن جنس الفاعل مع اليقين بوقوع الفعل أو عن غير الفاعل، فيقال "أرجلٌ جاءك" أو "أزيدٌ جاءَكَ" أم عَمْرٌو؟.[3]

---

[1] مختار عطية: التقديم و التأخير ، ص ص 40-41.

[2] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ 1984م، ص 333.

[3] مختار عطية: المرجع السابق، ص ص 40- 41.

ب- التقديم والتأخير في الاستفهام التقريري:

الاستفهام التقريري هو حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده، قال أبو الفتح في الخاطرات:

جاءوا بمدقٍ هل رأيت الذئب قط.

فهل الاستفهامية لا تقع تقريرا كما يقع غيرها مما هو للاستفهام، وقد انتهى ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل؛ إنما تستعمل فيه الهمزة، ثم نقل عن بعضهم أن "هل" تأتي تقريرًا، كما في قوله تعالى: «**هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**» .**سورة الفجر الآية 05**. والكلام صريح مع التقرير موجب؛ لذلك يعطي عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب.ففي قوله تعالى:« **أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا**» [1]. **سورة الأنبياء الآية 62**. فإن غرض السائل من إجابه المسؤول أن يقول: " أنا أو غيري" ولم يكن غرضه أن يقول: "فعلت أم لم أفعل"، لأن الفعل واقع والأصنام محطمة أم عينية، أما إذا تقدم الفعل فالغرض أن يقر الفاعل بالفعل دون أن يتردد بينه وبين غيره؛ فإذا قيل " أفعلت" كان غرض السائل أن يجيب المسؤول: " فعلت أم لم أفعل" لا أن تكون إجابته "فعلت" أو فعل غير" لأن الشك حينئذ قائم على وقوع الفعل أصلا [2]. كما أن هذه الآية تحتمل الاستفهام الحقيقي، بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، والتقريري بأن يكونوا عَلِمُوا، ولا يكون استفهامًا عن الفعل، ولا تقريرًا له، لأنه أجاب بالفاعل بقوله: «**بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُمْ**» .**سورة الأنبياء الآية 63**.وجعل الزمخشري منه في قوله تعالى:**ألمْ تعْلَمْ أنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شيءٍ قديرٌ**.**سورة البقرة الآية 106** وقيل: أراد التقرير لما بعد النفي لا التقرير بالنفي، والأولى أن يجعل على الإنكار.

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على المنفي ونفي المنفي إثبات والذي أدخلت على "ليس" إلى ألف الاستفهام كانت تقريرًا، ودخلها معنى الإيجاب فلم يحسن "أحدٌ"؛ لأن أحدًا إنما يجوز مع حقيقة النفي؛ لا تقول: ليس أحدٌ في الدار.[3]

---

[1] الزركشي: المرجع السابق، ص 331.

[2] مختار عطية: المرجع السابق، ص ص 41-42.

[3] الزركشي: المرجع السابق، ص ص ص 331-332-333.

ت– التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري:

فالاستفهام الإنكاري هو المعنى الذي ما بعد الأداة منفي وتصحبه "إلا" كقوله تعالى: « **فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**» سورة الأحقاف الآية 35.

الإنكار قد يجيء لتعريف المخاطب أن ذلك المدّعي ممتنع عليه؛ وليس من قدرته؛ كقوله تعالى: « **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ**». سورة الزخرف الآية 40. لأن إسماع الصُّم لا يدعيه أحد؛ بل المعنى أن إسماعهم لا يمكن؛ لأنهم بمنزلة الصم والعمي؛ وإنما قُدم الاسم في الآية؛ ولم يقل: « أَتُسْمِعُ الصُّمَّ »؟ بإسماع إلى إنكار موجه عن تقدير ظَن منه عليه السلام أنه يختص بإسماع مَنْ به صم، وأنه ادعى القدرة على ذلك، وهذا أبلغ من إنكار الفعل. وفيه دخول الاستفهام على المضارع، فإذا قلت: أتفعل؟ أو أنت تفعل؟ احتمل وجهين= أحدهما: إنكار وجود الفعل؛ وقد يصحب الإنكار التكذيب للتعريض بأن المخاطب ادّعاه وقصد تكذيبه؛ كقوله تعالى: « **أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ**» سورة الصافات الآية 153. وسواء كان زعمُهم له صريحا، مثل قوله تعالى: « **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ**» سورة الطور الآية 15. أو التزاما مثل قوله تعالى: « **أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ**».سورة الزخرف الآية 19. فإنهم لَمَّا جزموا بذلك جزم من يشاهد خلقَ الملائكة كانوا كمن زَعَمَ أنه شهد خلقهم ونسميه هذا استفهام إنكار؛ من أنكر إذا جَحَدَ، وهو إما بمعنى لَمْ يَكُنْ.[1]

ويحقق التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري غرض ردع المتكلم عما يخوض فيه، وتكشف أمره فيما يدعي فإذا تقدم الفعل في أمر محال، فهو إنكار لوقوعه، كقولهم: " أتصعد في السماء؟"، وإذا تقدم الاسم فهو إنكار لقدرة الفاعل على القيام بمثل هذا الفعل المحال كقولهم: " أأنت تصعدُ إلى السماء؟" ويتداخل الاستفهام مع التمثيل في تحقيق غرض الإنكار بتقديم الاسم. يقول الشاعر أبي عيينة:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أظنين أجنحة الذباب يضير

فكأن المخاطب قد ظن أن ظنين أجنحة الذباب يضير، حتى دفعه ذلك إلى الظن بأن وعيده يمكن أن يضير هذا المخاطب الذي يتوجه إليه بالوعيد والتهديد.[2]

---

[1] الزركشي: المرجع السابق، ص ص 328-330.

[2] مختار عطية: المرجع السابق، ص ص 42-43.

وإذا قدم الاسم صار الإنكار في الفاعل ومثاله قولك للرجل قد انتحل شعرًا أأنت قلت هذا الشعر؟ كذبت لست ممن يحسن مثله، أنكرت أن يكون القائل ولم تنكر الشعر، وقد تكون إذ يراد إنكار الفعل من أصله ثم يخرج اللفظ مخرجه إذا كان الإنكار الفعل من أصله في ذلك قوله تعالى: « **قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ**». **سورة يونس الآية 59، الإذن** راجع إلى قوله أرأيتم ما أنزل الله لكُمْ من رزق فجعلتهم منه حرامًا وحلالًا. ومعلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إليه (الله).[1]

فالإنكار أحد المعاني التي يخرج الاستفهام في حقيقته إليها، وهو إما تكذيبي بمعنى النفي، وإما توبيخي بمعنى: " ما كان ينبغي". أو "لا ينبغي". فعلماء البلاغة ومنهم عبد القاهر الجرجاني يرون أن لإنكار الفعل بطريق الاستفهام إنكارًا تكذيبيا صورتين: أحدهما: أن يقع الفعل عقب الهمزة كبعض الأمثلة والشواهد التي سبق ذكرها.

والثاني: ينحصر فاعل الفعل، أو مفعوله أو غيرهما من متعلقاته في واحد أو أكثر فيؤتي بذلك الفاعل أو المفعول أو غيرهما من المتعلقات عقب الهمزة.

أما عن الإنكار التوبيخي للفعل، فهذا الإنكار هو الذي يفيد معنى " ما كان ينبغي أن يكون" أو " لا ينبغي أن يكون". تقول في إنكار الفعل الماضي إنكارا توبيخيا: "أقاطعت صديقك؟" "أعصيت ربك؟" وقوله تعالى: « **ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**» فهذا إنكار توبيخي على معنى " ما كان ينبغي منك ذلك".

وتقول في إنكار المضارع: "أتنسى قديم إحسان فلان؟".

وعندما يقدم الفعل يكون قصدك بالإنكار إليه، والتوبيخ عليه كالأمثلة السابقة.

وعندما تريد أن يتوجه التوبيخ إلى الفاعل، أو كان من اجل المفعول أو غيرهما فإنك تقدم الاسم وتجعله يلي الهمزة. كأن تقول: " أأنت تمنع الناس حقوقهم".[2]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: في علم المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 89-90.

[2] عبدُ العاطِي غَرِيبُ عَلَّام: دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1997م، ص ص ص 54-56-57.

رابعا: تقديم النكرة و"مثل" و"غير" على الخبر:

أ- تقديم النكرة:

تتقدم النكرة في الكلام للتنبيه عليها، لا للتنبيه على الفعل الملاصق لها، فيقال: **رَجُلٌ جَاءَنِي"** لإعلام السامع وتنبيهه إلى أن الجائي من جنس الرجال لا النساء، فإذا لم يكن ذلك غرض المتكلم وجب أن يأتي في كلامه على الأصل، فيقول: " **جاءني رجلٌ"**،فإذا وصفت النكرة تطرق التنبيه إلى مضمون الوصف لا إليها، فإن قيل رجل طويل جاءني فإن القول متوجه به إلى من ظن أن الجائي قصير، أو من نزل منزلة الظان لذلك.

ويقترب ذلك من القصر بالاستثناء عند تأخير النكرة، حين يقول القائل: **"ما أتاني إلا رجل"**، فالمعنى قصر الإتيان على الرجل لدفع توهم السامع أن الآتي امرأة.

ولا شك أن في ذلك إيماء وتصريحا بقيمة هذه الفروق في التعبير، التي تعد ثمرة دراسات جادة في الجملة العربية (وليس من العبث أن يشغل البلاغيون- وعلى رأسهم عبد القاهر- أنفسهم بهذه المسألة أو غيرها من المسائل الأخرى المتصلة بالأساليب لولا أن لكل تعبير معناه، ولكل وضع هدفه ومغزاه. وفي ذلك اتساع في القول وقدرة في التعبير.[1]

ب- تقديم النكرة على الفعل:

النكرة لا تختلف عن المعرفة عندما تقدم على الفعل، إلا أنه ينبغي أن تعلم النكرة صالحة لأن يراد بها النوعية أو العدد، فقولك: جاءني رجل، تعبير صالح لأن يراد به النوعية أي: جاءني رجل لا امرأة، وصالح لأنه يراد به الإفراد أي: جاءني رجل لا رجلان: وقد تتمحص النكرة بالوصف للدلالة على أحد الأمرين دون الآخر، كما في قوله تعالى: «**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**» .**سورة النحل الآية 51**. فالوصف في الآية قد محضَ النكرة للدلالة على العدد، وفي قوله تعالى: « **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**» .**سورة الأنعام الآية 38**. محضها للدلالة على الجنس، وقد تتمحض من غير وصف، كما في الآيتين: « **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ**» **سورة القصص الآية 20**. و « **وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**». **سورة البقرة الآية 7**.

[1] مختار عطية: التقديم و التأخير ، ص 43.

فمن خلال هاتين الآيتين نفهم أو نستشف أن المراد بالنكرة في الآية الأولى: فرد من أشخاص الرجال وفي الثانية: نوع من أنواع الأغطية غير ما تعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله تبارك وتعالى.

ولكون النكرة صالحة للدلالة على النوعية أو العدد فإنك عندما تقدمها بعد الهمزة فتقول أرجل جاءك يكون سؤالك عن الفاعل، ومرادك أن تعرف جنسه أو عدده أي أرجل جاءك أم امرأة، أو رجل جاءك أم رجلان.[1]

ت- تقديم "مثل" و"غير":

1- تقديم مثل:

وممّا يُرى تقديمه كاللازم لفظ مثل إذا استعمل كناية من غير تعريض، كما في قولنا "مثلك لا يبخل" ونحوه ممّا لا يراد بلفظ "مثل" غير ما أضيف إليه، ولكن أُريد أنَّ من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس وموجب العُرف أن يفعل ما ذكر، وأن لا يفعل، ولكون المعنى هذا قال الشاعر:

ولم أقل مثلك أعني به سواك يا فردًا بِلَا مُشْهِ

وقال أيضا:

مثلك يَثْنى الحُزْنَ عن صوبه ويشتردُّ الدّمع من غَرْبِه[2]

وقول الناس: مثلك رعى الحق والحرمة: وكقول الذي قال له الحجاج: لأحملنك على الأدهم يريد القيد فقال على سبيل المغالطة: ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب.[3]

كما نجد أيضا أن لكلمة "مثل" خصوصية في الاستخدام في إطار أسلوب التقديم الذي تتحدث عنه ذلك أنه يكاد يكون من المطرد تقديمها في الكلام، والإتيان بعدها بفعل رافع لضمير عائد عليها، فيقال مثلا: "**مثلك يَبَرُّ والديه**"، فالتعبير بهذا الأسلوب يفيد تأكيد المعنى في حالي الإثبات والنفي على سواء، شريطة أن لا

---

[2] بشيوني عبد الفتاح فيود: دراسات بلاغية ، ص77 .

[2] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، ط1، 1416هـ، 1996م، ص 95.

[3] عبد القاهر الجرجاني: المرجع السابق، ص 107.

يكون المقصود بـ **"مثل"** إنسانًا سوى الذي أضيف إليه، والمعنى حينئذ أن من كان في مثل حاله وصفته يكون من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل.

ومن النماذج الدالة في هذا الصدد مع "مثل" قول المتنبي في كافور

وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ لِيَضْحِكَ رَبَاتِ الحِجَالِ البَوَاكِيَّا [1]

2- تقديم "غير":

ولكلمة "غير" أيضا خصوصية في الاستخدام ضمن أسلوب التقديم ذلك أنه يكاد يكون من المطرد تقديمها في الكلام، فغير إذا جاءت على هذا النسق فقولك مثلا: **"غَيْرِي يَفْعَلُ هَذَا"** على معنى أني لا افعل وليست تريد التعريض على أحد: ومبنى تأكيد المعنى وتقويته في تقديم الكلمة، وإثبات الفعل أو نفيه مع مثل يشبه ما يؤديه أسلوب الكناية من إثبات الشيء بدليله؛ كذلك الأمر مع "غير" فإن إثبات الفعل لمن أضيفت إليه أو نفيه عنه، كما في قولك: غيرك لا يعترف بحرية الرأي " يعني ثبوت نكسه للطرف المقابل بمفهوم المخالفة وذلك أكد في إثبات المعنى. ومن النماذج الدالة على "غير" قول المتنبي يصف سيف الدولة:

غَيْرِي بِأَكْثَرَ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ [2]

فالشاعر هنا لم يرد أن يعرض بواحد فيستنقصه ويصف أنه مضعوف يغرُّ و يخدع بل لم يرد إلّا أن يقول: إني لست ممن ينخدع ويغتر.[3]

وكذلك أبو تمام بقوله:

غَيْرِي يَأْكُلُ المَعْرُوفَ سُحْتًا وَشَحْبُ عِنْدَ بَيْضُ الأَيَادِي

أن يعرض مثلا بشاعر سواه فيزعم أن الذي قرف به عند الممدوح من أنه هجاء كان من ذلك الشاعر لا منه، هذا محالف، بل ليس إلا أنه نفى عن نفسه أن يكون مِمَّنْ يكفر النعمة ويلؤم، واستعمال غير على هذا

---

[1] شفيع السيد: المرجع السابق، ص 221.

[2] شفيع السيد:المرجع نفسه ص ص 221-222.

[3] عبد القاهر الجرجاني: المرجع السابق، ص 107.

السبيل شيء مركوز في الطباع وهو جارٍ في عادة كل قوم، فأنت الآن إذا تصفحت الكلام وجدت هذا الاسم يقدم أبدًا على الفعل إذا نحى به هذا النحو الذي ذكرت لك.[1]

ولا يستقيم المعنى فيه إذا لم يقدم والسر في ذلك أن تقديمه يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره.[2]

ث- تقديم إنَّمَا:

يرى النحويون أن دخول "ما" على "إن" يجعل عمل "إنّ" نادرًا، ويكثر إهمالها، نحو قوله تعالى: « **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**» . **سورة النساء الآية 171**. وقوله تعالى: « **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ** » . **سورة طه الآية 98**. و في تقدمها في الكلام تحقيق لغرضين أساسيين:

أولهما: الحصر؛ كانحصار الربا في النسيئة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إنما الربا في النسيئة" وثانيهما معنى الحصر فيها على القول به، فإن وليتها جملة اسمية اقتضت انحصار المبتدأ على الخبر، نحو: **"إنَّمَا زَيْد قائم"** فزيد منحصر في كيفية القيام. وإن وليتها جملة فعلية اقتضت انحصار الفعل في الفاعل، نحو " **إنما قام زيد"**، فالقيام منحصر في زيد، والمعنى: لم يقم غيره.

و على ذلك قوله تعالى: « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**» . **سورة الحجرات الآية 10**. فقد وليت "**إنما**" جملة اسمية، فاقتضت انحصار المؤمنين في الإخوة القائمة بينهم، وكذا في قوله تعالى: « **إنما يخشى الله من عباده العلماء**» . **سورة فاطر الآية 28**. حيث وليتها جملة فعلية فاقتضت انحصار الخشية في العلماء.[3]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: المرجع نفسه ، ص 107.

[2] الخطيب القزويني: المرجع السابق، ص 96.

[3] مختار عطية: التقديم والتأخير، المرجع السابق، ص 45.

المطلب الثاني: أهمية التقديم والتأخير في إيصال المعنى

يعتبر التقديم والتأخير، من بين آليات المتكلم في الخطاب، يدخل ضمن مباحث علم المعاني[1]، باعتباره أحد أركانه؛ لأن المعنى مرتبط به ارتباطا كبيرا، نقول مثلا: " قام زيدٌ"، ونقول " زيد قامَ"، ولكل جملة مقام يناسبها؛ فمقام الجملة الفعلية مجرد الإخبار عن القيام، ومقام الجملة الاسمية تأكيد الإخبار عن القيام مع إفادة التخصيص[2]، ومن أهم مباحثه الذي يبحث في بناء الجمل وصياغة العبارات، وبتأمل التراكيب، لكي يبرز ما يمكن من وراءها من أسرار ومزايا بلاغية، فعندما ننظر في أجزاء الجملة نتأمل الجزء الذي قدم فيها فسنراه أهم أجزائها، ولم يقدم إلا لكونه هو الأهم وموضع عناية الناس وانشغالهم، فالعناية والاهتمام أصل كل تقديم إلا أنه ينبغي أن يمتد تأملنا إلى أبعد من هذا. فنعرف سبب العناية، ونقف على دواعي الأهمية، وقد حذر الإمام عبد القاهر الجرجاني البلاغي من أن يقف عند العناية والاهتمام ويعدها سببا للتقديم دون أن ينقب عن دواعي الاهتمام، ويفتش عن أسباب العناية. ويقول عبد القاهر: " **وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قُدِّم للعناية ولأن ذكره أهم؟ من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صَغُرَ أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخَطب فيه، حتى إنك لا ترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه، ضربا من التكلف، ولما ترى ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهُهُ**".[3]

إذ أن المتكلم يحتاج بغية تمام المعنى وإيصاله على الوجه المراد إلى التقديم والتأخير في ألفاظ الجملة؟ بحيث يلعب هذا الإجراء دورًا بارزًا في إيصال المعنى المراد.[4]

والتقديم والتأخير يفيد بعض المعاني البلاغية كإبراز العنصر المقدم والتنبيه إليه والتخصيص وتقوية الحكم وتقريره ومراعاة توازن أجزاء الجملة والتشويق إلى معرفة العنصر المؤخر.[5] ومنه قد يكون بقاء التقديم – لما رتبته التقديم أصلا– واجبا وداعيا من واجبات إيصال المعنى ودواعيه دون المساس برتب الألفاظ في الجملة، فالمسند إليه مثلا رتبته التقديم وقد يكون الإبقاء على تقديمه في بعض الأحيان أولى من تأخيره تبعا لدواعي المقام، وذلك كأن

---

[1] تقبايت حامدة: قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م، ص 125.

[2] بن عيسى باطاهر: المرجع السابق، ص 111.

[3] بشيوني عبد الفتاح فيود: المرجع السابق، ص 51.

[4] مختار عطية: المرجع السابق، ص 17.

[5] الباشا العيادي: المرجع السابق، ص 48.

يكون المسند ضمير له وأن يقرر الحكم في ذهن السامع ويؤكده بسبب تكراره سواء كان اسما ظاهراً... أو ضمير المخاطب نحو: أنت ركبت، وكذلك هو ركب، ومنه فتقديم المسند إليه إنما يكون ذكره أهم إما لأنه الأصل ولا مقتضى العدول عنه وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع[1]، وأما الحالة التي تقتضي تأخير المسند إليه على المسند فهي: إذا اشتمل المسند على وجه ومن وجوه التقديم.[2]

ويضيف السيوطي قوله أن تأخير المسند يكون أولى من تقديمه إذا كان تقديم المسند إليه أهم، وتقديم المسند على المسند إليه يكون لإفادة الاختصاص تارة والاهتمام بالمتقدم تارة أخرى.[3] ومنه فالتقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة وهو دلالة على التمكن من الفصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى.[4] وهو من بين سبل الإقناع الموظفة من طرف المتكلم، يشحنها بقصده وتوخي فيها أسلوباً مؤثراً في المخاطب.[5]

كما يظهر كآلية لسانية في ملفوظ المتكلم، فيحمله المعاني والأغراض التي قصد إليها من خلال توظيف تلك الآلية[6]. كما أن الكلمة في القرآن الكريم لا تقدم إلا لميزان توزن به الكلمات. إذ أن للتأخير مزايا فنية يلاحظها الذهن في معنى كل كلمة، وما لها من ميزات وخصائص في التركيب[7]. فكما هو معروف لدينا أن كل متكلم ينطق بجمل أو عبارات مختلفة كانت أولا فهو يهدف إلى إيصال معنى معين، ومنه نستطيع القول أن المعنى المراد من الكلام يرتكز على كيفية بناء الجملة لتؤدي غرضها، داخل النص. ولا سيما في التصوير البياني، حيث يكون تنظيم الكلمات عنصرا هاما في جماليات الاستعارة؛ أو نقول يساعد بقدر كبير في توضيح ما نسميه عمود الشعر العربي، فالعبارة الشعرية في أدبنا العربي تحتاج إلى ما يؤلفها.[8]

---

[1] مختار عطية: التقديم والتأخير، ، ص 17.

[2] سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ظ1 1402هـ، 1983م، ط2 1407هـ، 1987م، ص 196.

[3] مختار عطية: التقديم والتأخير، ص 19.

[4] يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ 2007م ط2، 1430هـ، 2010م، ص 97.

[5] تقبايت حامدة:المرجع السابق، ص 128.

[6] تقبايت حامدة:المرجع السابق، ص 125.

[7] طالب محمد إسماعيل الزوبعي: المرجع السابق، ص ص 117-118.

[8] مختار عطية: المرجع السابق، ص 17.

ومنه فالجملة ليست قصراً على الفعل والفاعل ولا المبتدأ والخبر، أو المسند والمسند إليه، وإذا كانا هما الركنين الأساسيين في الكلام، لأن هناك المفعول به والجار والمجرور والحال والتمييز والظرف والحرف وما شابه ذلك مما يسميه النحاة إمّا فضلة وإمّا متعلقا بغيره من أساس الجملة، لأنك إذا قلت: جاء زيد، فهذان هما الركنان الأساسيان في الجملة، ولكن الكلام قد يحتاج إلى بيان الزمان فتقول: جاء زيد ضاحكًا اليوم إلى المنزل.[1]

[1] حلمي مرزوق: في فلسفة البلاغة العربية علم المعاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004م، ص 126.

المبحث الثالث : دور التقديم والتأخير في بلاغة الجملة وأغراضه

المطلب الأول: دور التقديم والتأخير في بلاغة الجملة

يمثل التقديم والتأخير في بناء الجملة ركيزة أساسية في بلاغتها وتحقيق مراداتها، وإصابة غرض المتكلم لتحقيق التواصل بينه وبين المخاطب وقد أدرك " عبد القاهر" تلك الوظيفة الأساسية والمهمة التي يؤديها التقديم والتأخير في الكلام ونلمس ذلك جليا في قوله:[1] " **هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفترَّ لك عن بديعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء وحُوِّلَ اللفظ عن مكان إلى مكان**"، وتقديم الشيء على وجهين[2]، تقديم يقال إنه على نية التأخير، ويعني به كل ما يتقدم ويظل على حكمه الذي عليه، كما في الخبر إذا قدّم على المبتدأ، والمفعول عندما يتقدم الفاعل[3]. **مثال:** كقولك: منطلق زيد وضرب عمرًا زيد. معلوم أنَّ "منطلق"، و "عمرًا" لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ و مرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت[4]، وكذلك مثل: "زيد المنطلق" و"المنطلق زيد"، فالتقديم والتأخير يؤثران في معنى الجملة لأن ما يقدم هو المبتدأ أو المسند إليه وما يؤخر هو الخبر أو المسند.[5] والآخر تقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعله بابًا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا.[6]

ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة: زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ وكذلك لم تؤخر زيد على أن يكون مبتدأ كما كان بل على أن تخرجهُ عن كونه

---

[1] مختار عطية: المرجع السابق، ص 20.

[2] فضل حسين عباس: المرجع السابق، ص 215.

[3] فتح الله أحمد سليمان: المرجع السابق، ص203..

[4] عبد القاهر الجرجاني: المرجع السابق، ص 83.

[5] أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي، العراقي، دط، 1406هـ، 1986م، ج2، ص 326.

[6] عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص ص83-84.

مبتدأ إلى كونه خبرا، وأظهر هذا من قولنا: ضربت زيدًا و زيد ضربته لم تقدم زيدًا على أن يكون مفعولا منصوبًا بالفعل كما كان ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له.[1]

ويجعل صاحب نهاية الإيجاز للتقديم دواعي وأسبابًا يحسن بها ويروق وهي:

أولا: أن يكون الحاجة إلى ذكره أشد.

ثانيا: أن يكون التأخير أليق بما اتصل من الكلام.

ثالثا: أن يكون المتقدم أعرف من المتأخر.

رابعا: أن يكون المتقدم ذا صدارة في الكلام كالحروف في الاستفهام والنفي.

خامسا: أن يتقدم الكل على جزئياته.

سادسا: أن يتقدم الدليل على المدلول.[2]

وربما يتوالد عن هذه الدوافع التي لأجلها يتم تقديم بعض الكلام على بعض- تلك الدوافع التي يتحتم لأجلها التأخير- حيث جمعها "الرازي" في ثمانية دوافع وهي:

أولا: تأخير تمام الاسم كالصلة والمضاف إليه.

ثانيا: تأخير التوابع.

ثالثا: تأخير الفاعل، إذ انه لا يتقدم الفعل.

رابعا: تأخير المظهر عن المضمر.

خامسا: التأخير لدفع اللبس.

سادسا: عدم جواز تأخير الحروف التي لها صدر الكلام نحو "رُبْ" و"ما" النافية.

---

[1] مختار عطية، المرجع السابق، ص ص 20-21.

[2] مختار عطية: المرجع السابق، ص ص 20-21.

سابعا: ما لم يبلغ قوة الفعل في العمل، كالصفة المشبهة والتمييز.

ثامنا: ما يقع الفصل فيه بين العامل والمعمول بما ليس منه. كقولنا: "كانت زيدًا الحُمّى تأخذه".

ويجعل كذلك صاحب "المثل السائر" للتقديم والتأخير في الكلام غرضين أساسيين هما: الاختصاص ومراعاة الكلام فيمثل الأول بقوله: **"بل الله فاعبد وكن من الشاكرين" الزمر 66**.[1]

فإنه إنما قال: " **بل الله فَاعْبدْ**" ولم يقل بل اعبد الله، لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره، ولو قال: بل اعبد، لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء، ويمثل للثاني- وهو مراعاة: نظم الكلام[2]- بآية الفاتحة « **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**» **سورة الفاتحة الآية 5**.

يقول(فإنه لم يقدّم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وإنما قُدِّم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال: نعبدك ونستعينك، لم يكن له من الحسن ما لقوله "إياك نعبد وإياك نستعين" وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، ولو قال: نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن). وهذا الغرض هو الذي أطلق عليه "الزركشي" في البرهان "الإخلال بالتناسب"، حيث يكون التقديم مطلوبا لمشاكلة الكلام يقول: "ابن قيم": (فإن المقصود بتقديم – إياك- تعظيم الله – سبحانه وتعالى- والاهتمام بذكره مع إفادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى ليصير الكلام حسنا متناسقا[3] ومن ذلك قوله تعالى: « **واسجدوا لله الذي خلقهن وإن كنتم إياه تعبدون**». يقول "الزركشي": (بتقديم "إياه" على "تعبدون" لمشاكلة رؤوس الآي[4] والآية بعدها: « **فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون**». **سورة فصلت الآية 38**.

ويورد المتأخرون للتقديم دواعي وأسبابًا، ربما لا تتصل ببناء الجملة بقدر ما تتصل بطبائع الأشياء ومواقعها في الحياة والكون، كتقديم السبب على المسبب[5]، في قوله تعالى: «**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً**

---

[1] مختار عطية: التقديم والتأخير، ص ص 21-22.

[2] ضياء الدين ابن الأثير: المرجع السابق، ص ص 212-216-217.

[3] مختار عطية: المرجع السابق، ص 22.

[4] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ، 1984م ج3، ص 234.

[5] مختار عطية: المرجع السابق، ص ص 23-24.

مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا» سورة الفرقان الآية 48–49، يقول ابن الأثير: (فقدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس، وإن كانوا أشرف محلا لأن حياة الأرض هي سبب لحياة الأنعام والناس).

وتقديم الأكثر على الأقل[1]، كما ورد في قوله تعالى: « **فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ» سورة التغابن الآية 2** لكثرة عدد الكفار على عدد المؤمنين.[2]

وتقديم الأعجب فالأعجب، كما في قوله تعالى: « **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ»**[3] . **سورة النور الآية 45.**

وكتقديم الفاضل على المفضول، والتقديم للرقي أو التدني[4]، والتقديم لرعاية الفاصلة، وهذا الأخير قد أورده ابن الأثير، وتبعه فيه "الزركشي" بقولهم إن التقديم لبعض الألفاظ والتأخير لبعضها إنما يكون لمراعاة الفواصل في النص القرآني، وحسن النظم السجعي بين الآيات، وما لم يكن على هذا النحو أطلق عليه "الزركشي" فلسفة البلاغة– ونحن معه– هذا الزعم بأن التقديم والتأخير قد يكونان لرعاية الفاصلة، إذ أورد البلاغيون قوله تعالى: «**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** » . **سورة الحاقة الآية 30–31.** بدلا من "صلوه الجحيم" لرعاية الفواصل ويقول: (فذلك التركيب الأصلي وإنما —في رأينا– أن التقديم هنا له دلالة بلاغية للتأثير على النفس في سرعة بيان المصير السيئ الذي يتربص لهذا الذي "أخِذَ" "فغُلَّ") ويلحق بهذه الأنماط ما أورده "العلوي" وأطلق عليه " تقدم العلة على المعلول"، كتقدّم الكون على الكائنية، والعلم على العالمية، وغير ذلك.

ويعرض " ابن سنان الخفاجي" لملمح الترتيب أو التناسب في التقديم والتأخير وهو عنده (حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب ليكون ما يرجع إلى المقدم مقدما وإلى المؤخر مؤخرا)، ويمثل لذلك بقوله الشريف الرضى:

قلبَى وطرفَى منك هذا في حِمَى قيظ وهذا في رياض ربيع

---

[1] ضياء الدين ابن الأثير: المرجع السابق، ص 224.

[2] مختار عطية: المرجع السابق، ص 23.

[3] ضياء الدين ابن الأثير: المرجع السابق، ص 225.

[4] مختار عطية: المرجع السابق، ص ص 23–24.

يقول: (فإنه لما قدم – قلَبِي- وجَبَ أن يقدّم وصفه بأنه في حمى قيظ، فلو كان قال – طرفي وقلبَي منك- لم يحسن في الترتيب أن يؤخر قوله- في رياض ربيع- والطرف مقدم).[1]

المطلب الثاني: أغراض التقديم والتأخير

ارتبط غرض التقديم والتأخير في التركيب النحوي لدى النقاد والبلاغيين بمفهوم العناية أو الاهتمام، أي أن اللفظ المقدم يستحوذ على عناية المتكلم أو اهتمامه، فيقدمها على غيره على الرغم من أن رتبتهُ النحوية تقتضي التأخير نحو تقديم الخبر على المبتدأ، أو تقديم المفعول به على الفاعل ويبدو أن مفهوم العناية أو الاهتمام الذي نص عليه الدرس البلاغي مستمد من الفكر الاجتماعي الذي يقدم شخصا على غيره للدلالة على عنايتهم واهتمامهم بالمتقدم على غيره من أقرانه. " وينبغي أن نتعامل مع سياقات التقديم والتأخير التي رصدها البلاغيون في شيء من الحذر حتى يمكن الربط بينها وبين حركة الفكر من ناحية، وطبيعة المقام من ناحية أخرى، كمقولة (التقديم للأهمية) – مثلا- تصبح بحاجة إلى مراجعة من خلال رصد حركة الذهن وتوافقها مع الحركة الصياغية الأفقية. وعلى الرغم من صحة مفهوم العناية أو الاهتمام في تعليل التقديم والتأخير إلا أن الاقتصار على ذكر العناية أو الاهتمام يعد طمسًا للإشراقات الدلالية التي تنجم على التقديم والتأخير في البناء النحوي.[2]

بين الدلالة اللغوية وتوخي معاني النحو من جهة وبين الدلالات الفنية واختيار الألوان في اللوحة الفنية بقوله: " **ليس من فضل أو مزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد، والغرض الذي تؤم وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأسباغ التي تعمل منها الصورة والنقوش فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأسباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسخ إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأسباغ، وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها، وتربية إياها إلى ما لم يتهد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم**"[3] ولن نتكلف كما فعل كثير من المتأخرين، فكثير من أغراض التقديم والتأخير لا

---

[1] مختار عطية: المرجع نفسه، ص ص 23- 24.

[2] عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، ص 210.

[3] عمر عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص ص 212- 213.

تحتاج إلى بيان، لأنها تدرك بالذوق لأول وهلة[1] كالأغراض البلاغية لتقديم المسند إليه باعتباره ركن أساسي يتقدم في الجملة الاسمية ويتأخر في الجملة الفعلية ومنها:

1- **تعجيل المسرة:** مَعَ وجود تفاؤل في ذكر المسند إليه، كقولك: " **العفو عنك صدر به الأمْرُ**".

2- **تعجيل المساءة:** إذا كان في ذكر المسند إليه ما يُتشاءم منه، كقولك: " **السارقُ في منزِلِكَ**"[2]

وكذلك يقدم المسند إليه من أجل المحافظة على النظم.

كما أننا لا نتفق معه في قصر التقديم والتأخير على الضرورة الايقاعية، إذ أن البحث يتجه إلى الكشف في جماليات التقديم والتأخير التي لا تنحصر بالعناية أو الاهتمام أو ضرورة الوزن والقافية.

إذ أن هناك تقاربا بين قدرة الشاعر على تشكيل شبكة العلاقات النحوية للخطاب الشعري ومهارة الرسام في اختيار الألوان في تشكيل اللوحة الفنية، فالشاعر لا يتعمد اختيار الشكل النحوي، لأن المعنى والسياق النفسي هما اللذان يقتضيان شكلا نحويا دون غيره لأصاب المعنى خللًا، لأن الجينات الدلالية تتخلق في رحم العلاقات النحوية. فيولد المعنى ملتبسًا الشكل النحوي في بيئة زمانية وسياقية واحدة وأيَّةُ دلالة تبحث عن شكل نحوي خارج ذلك الرحم، أو تلك البيئة هي دلالة مصطنعة متكلفة (**وهنا يتأتى دور المبدع في إيقاع اختياره على بعض الوظائف دون بعضها الآخر، وإيثار بعض الأشكال النحوية على البعض الآخر، خاصة إذا أدركنا أن اللغة العربية لا تلتزم نمطا تركيبيا بعينه**).

وكذلك الرسام يختار الألوان التي تقتضيها الدلالة التعبيرية، وهو اختيار محكوم بالبعد الدلالي للوحة الفنية، واختيار لون دون غيره يرتبط بدلالة مقصودة وكذلك لا يعتمد الرسام اختيار اللون، بل إن شبكة العلاقات الدلالية للوحة هي التي تقتضي لونا دون غيره.[3]

وقد أبدى بعض البلاغيين تدمرًا من الشعراء الذين يقدمون ويؤخرون في النظم، ويوحي تدمرهم إلى رفض مضمر للتقديم والتأخير، وهو ما يفهم من قول رشيق القيرواني: " ومنه من يقدم ويؤخر إما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر، وإمَّا ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام، ويقدر على تعقيده، وهذا هو العي بعينه".

---

[1] فضل حسين عباس: المرجع السابق ، ص 217

[2] بن عيسى باطاهر: المرجع السابق، ص ص 112 - 113.

[3] عمر عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص 212.

ولا يخفى أن ابن رشيق يحصر الغرض من التقديم والتأخير بالضرورة الإيقاعية للشعر من حيث الوزن والقافية، وماعدا ذلك يعد مهارات لغوية لا فائدة منها. ويذهب أبعد من ذلك حينما يربط التقديم والتأخير بالتعقيد المعنوي ولا ريب أننا نتفق مع ابن رشيق في أن التقديم والتأخير الذي لا يقتضيه المعنى والسياق النفسي يفضي إلى التعقيد المعنوي، انطلاقا من أنَّ أي تغير في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر.[1]

3- **تعجيل التبرك به:** نحو: اسم الله عليك، ونحو المصطفى صلى الله عليه وسلم يفرح بزواره في روضه.

4- **تعجيل الأمان به:** مثل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[2]

5- **الفخر**: كقول الشريف: محمد رسول الله جدِّي.[3]

6- **إبداء التلذذ بذكره:** نحو:

هو البَدْرُ إلا أنه أبْخَرَ زاخِرًا سوى أنه الضرغامُ لكنه الوَبَلُ

7- **التعجيل بتعظيمه:** نحو:

أَنَا فارِس، أنَا شَاعِرٌ في ظل ملحمةٍ ونادٍ[4]

8- **التعجيل بتحقيره:** نحو: **قول الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه** (الدنيا لا تساوي عند الله جناحَ بعوضَة).

9- **تمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشريفا إليه كقول المعري:**

والذّي جارت البريَّة فيه حَيَوانٌ مستحدثٌ من جَمَادِ

10- **الإشعار بأن اتصافه بالخبر هو المطلوب لا نفسُ الخَبَر:** كما إذا سألت الشيخ الحاج فلان: ما حَالُهُ؟ وكيف حاله؟ فأجبت الشيخ الحاج فلان يشرب ويطرب ويلهو ويلعب.

---

[1] عمر عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص 211.

[2] عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 200.

[3] زكريا توناني: التسهيل لعلوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ،لبنان، ط1، 1431هـ، 2010م، ص 40.

[4] فواز فتح الله ابراميني: البلسم الشافي في علوم البلاغة البيان- البديع، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العين، ط1، 1430هـ، 2009م، ص 235، ص 236.

11- إفادة تخصيص المسند إليه بالخبر الذي هو جملة فعلية: وذلك إذا ولّى المسند إليه المتقدِّم حرف النفي، يقول عبد القاهر الجرجاني: " وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إذْ ولّى حرف النفي كقولك: مَا أنا قلتُ هذَا، أي لم أقله مع أنَّه مقولْ.[1]

12- الإشعار بأنه محل اهتمام المخاطب أو المتكلم نحو: المطر نيل.[2]

لا يغرّنك ثياب نقيت فهي بالصابون والماء نظيفة

تشبه البيضة لما فسدت قشرها أبيض والباطن جيفة [3]

13- إفادة زيادة تخصيص المسند إليه المتقدم بالمسند المتأخر:

كقول الشاعر:

متى تهزريني قطن تجدهم سيوفا في عواتقهم سيوف

جُلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم خفوف

والشاهد " هم خفوف"، فقد زاد الضمير " فهم من اختصاص بني قطن بالكرم، ربما لأنه هناك ملفوظ أما في صدر البيت فملحوظ، وقد قيل إن زيادة المبنى تستلزم زيادة المعنى. والله أعلم.[4]

14- تقوية وتوكيده: إذا لم يسبق بنفي تقول: أنا كتبت خواطري.[5]

15- عموم السلب: كأن يأتي النفي بعد الاسم الدال العموم نحو كل نبيل لا يقدر" (النفي المباشر) وكل بخيل منبوذ (النفي غير مباشر يعادل لا يحب).

16- سلب العموم: كأن يأتي النفي قبل العموم نحو: " ما كل علم مشروح مفهوم".[6]

---

[1] عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، ص200.

[2] زكريا توناني: المرجع السابق، ص40.

[3] علال نوريم: جديد الثلاثة الفنون في شرح الجوهر المكنون، علم المعاني، د ط، د ت، ج1، ص 130.

[4] عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، ص120.

[5] مسعد الهواري: قاموس قواعد البلاغة وأصول النقد والتذوق، مكتبة الإيمان، المنصورة، د ط، د ت، ص112.

[6] فواز فتح الله ابراميني: البلسم الشافي، ص 235.

*** الأغراض البلاغية لتقديم المسند:**

- يقدم المسند على المسند إليه لأغراض بلاغية عديدة ومتنوعة ومن بينها نذكر:

1- التخصيص[1]: قال تعالى:« **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ**» **سورة الروم الآية 04**. فتقديم (لله) قصد منه التخصيص، والمعنى أن الأمر لله وحده لا لِأَحَدٍ غَيْرَهُ.[2]

وكذلك قوله تعالى: « **لكم دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**» **سورة الكافرون الآية 06**.[3]

فالتخصيص لازم للتقديم غالبا بشهادة الاستقراء وحكم الذوق، ومن ثم قال المفسرون في قوله تعالى: «**إياك نعبد وإياك نستعين**» .**سورة الفاتحة الآية 05**. إن المعنى نخصك بالعبادة والاستعانة ولا نعبد غيرك ولا نستعين.[4]

2- التشويق: سلاح يقيك من الشرور: التقوى.[5]

3- التفاؤل والأمل: مبارك نجاحك.[6]

4- التنبيه من أول الأمر على أن المسند خبر في المسند إليه لا نعت له، لأن النعت لا يتقدم على المنعوت، كقول حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

له همُ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهرِ

قدم المسند " له" على المسند إليه " همم"، تنبيها – من بادئ الأمر- على انه خبر لا نعت: إذ لو أخره فقال: " هم له" لتوهم ابتداء أنه نعت لشدة حاجة النكرة إليه، وأن الخبر سيذكر فيما بعد.[7]

ويقدم المسند كذلك لعدة أغراض من بينها:

---

[1] الباشا العيادي: المرجع السابق، ص 48.

[2] بن عيسى باطاهر: المرجع السابق، ص 113.

[3] مسعد الهواري: المرجع السابق، ص 112.

[4] أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الآفاق العربية ، القاهرة ،ط1 ،1420هـ -2000 م ، ص 107.

[5] مسعد الهواري: المرجع السابق، ص 112.

[6] فواز فتح الله ابراميني:المرجع السابق، ص 233.

[7] أمين أبو ليل: المرجع السابق ص ص 49 - 50.

قصر المسند إليه على المسند، مثل قوله تعالى: « **لكم دينكم ولي دين**»، أي دينكم مقصور عليكم وخاص بكم، وديني مقصور عليَّ وخاص بي.

ويؤخر المسند لأن تأخيره هو الأصل وإلى هذا يشير الناظم بقوله:

وَأَخَّرُوا أَصَالَةَ .....

يعني أخروا المسند في كلامهم، لأن تأخيره هو الأصل.[1]

[1] علال نوريم: المرجع السابق، ص 167.

الفصل الثاني:

بلاغة التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف

أولا: التعريف بكتاب رياض الصالحين

ثانيا: التعريف بمؤلف كتاب رياض الصالحين

ثالثا: نماذج من التقديم والتأخير في كتاب رياض الصالحين

أولا– التعريف بكتاب رياض الصالحين:

كتاب رياض الصالحين كتاب لطيف حوى أبواباً عظيمة من الدين فيها بأحاديث سيد المرسلين التي هي تبيان للدين القويم، وأتبعها ببعض التعليقات، فلا يستغني مسلم أو مسلمة كبير أو صغير قاضٍ أو دانٍ عن هذا الكتاب الذي وضع الله لهُ القبول في الأرض وهذا من علامات القبول له ولصاحبه [1]

ثانيا– التعريف بمؤلف كتاب رياض الصالحين:

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام[2]، محي الدين أبو زكريا يحي ابن شرف بن مريَّ بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة ابن حزام، الفقيه الشافعي الزاهد النووي[3] النووي نسبة إلى نوى وهي قرية من قرى حوران في سوريا، ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذاهب وكبير الفقهاء في زمانه، ولد النووي رحمه الله تعالى في المحرم من 631 هـ في قرية نوى من أبوين صالحين، ولمَّا بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم هناك، وصادف أن مرَّ بتلك القرية الشيخ ياسين المراكشي فرأى الصبيان يكرهونه على اللعب وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن، فذهب إلى والده ونصحه أن يفزعهُ لطلب العلم، فاستجاب له.

وفي سنة 649هـ قدم مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث، وسكن المدرسة الرواحية، وهي ملاصقة للمسجد الأموي من جهة الشرق، وفي عام 651هـ حج مع أبيه ثم رجع إلى دمشق.[4]

حيث قال: بقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض وكان قوتي فيه جراية المدرسة لا غير، وحفظت (التنبيه) في نحو أربعة أشهر ونصف وحفظت ربع المهذب في باقي السنة، وجعلت أشرح وأصحح على شيخنا كمال الدين إسحاق المغربي، ولازمته فأعجب بي وأحبني، وجعلني أعيد لأكثر جماعته فلما كانت سنة إحدى وخمسين حجَجْتُ مع والدي وكانت وقفة الجهة.

---

[1] أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تح: وائل أحمد عبد الرحمان، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة مصر، ط6، 2013م، ص3.

[2] محمد بن صالح العثيمين: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تح: محمد سعيد محمد وعبد السلام عبد الحكيم عَوضَا، دار ابن الهيثم القاهرة، دط، دت، ج1، ص3.

[3] النووي: المرجع السابق، ص 5.

[4] النووي: المرجع السابق، ص 2.

قال السبكي: " قال شيخه ياسين بن يوسف المراقشي، رأيت الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحالة، فوقع في القلب حبهُ، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت الذي يقرؤه القرآن فوصيته به، قلت لهُ: هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي: منجمًا أنت؟!.

فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذكر، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام[1]. حيث تميزت حياة النووي العلمية بعد وصوله إلى دمشق بثلاثة أمور: منها الجد في الطلب، العلم والتحصيل في أول نشأته وفي شبابه، وقد أخذ العلم من كل مأخذ، وأصبح يجد فيه لذة لا تعدله لذة، وقد كان جادًا في القراءة والحفظ،واستطاع في فترة وجيزة أن ينال إعجاب وحب أستاذه أبي إبراهيم إسحاق ابن أحمد المغربي، فجعله معيد الدرس في حلقته، ثم درّسَ بدار الحديث الأشرطية، وغيرها. وكذلك سعة علمه وثقافته، وقد جمع إلى جانب الجد في الطلب غزارة العلم والثقافة المتعددة، وقد حدَّث تلميذه علاء الدين بن العطار عن فترة التحصيل والطلب، أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحا وتصحيحا، تميز بغزارة إنتاجه، اعتنى بالتأليف وبدأه عام 660هـ، وكان قد بلغ الثلاثين من عمره، وقد بارك الله له في وقته وأعانه. فبرزت غزارة إنتاجه وقوة ذكائه في كتب ومؤلفات عظيمة ومدهشة تلمس فيها سهولة العبارة، وسطوح الدليل، ووضوح الأفكار، والإنصاف في عرض أراء الفقهاء، ومازالت مؤلفات حتى الآن تحظى باهتمام كل مسلم، والانتفاع بها في سائر البلاد[2].

واهم مؤلفاته: " شرح المهذب للشيرازي ولم يكمله"، " ومناهج الطالبين في الفقه الشافعي"، و"شرح صحيح مسلم"، والأربعون النووية[3]، و "تهذيب الأسماء واللغات"، "المناهج في الفقه"، " التبيان في آداب حملة القرآن"، "الأذكار جلبة الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار""الإيضاح في المناسك"، وكتاب " رياض الصالحين".[4]

حيث سمع النووي من الرضا ابن البرهان، وشيخ الشيوخ عبد العزيز ابن محمد الأنصاري وزين الدين عبد الدايم، وعماد الدين عبد الكريم ابن الأنصاري وغيرهم وتفقه على كمال الدين إسحاق المغربي، وشمس الدين عبد

---

[1] النووي: المرجع السابق، ، ص 5.

[2] العثيمين: المرجع السابق، ص 3.

[3] النووي: المرجع السابق، ص6.

[4] العثيمين: المرجع السابق، ص4.

الرحمن بن نوح، وقرأ النحو على يد الشيخ أحمد المصري وغيره، وقرأ على ابن مالك كتابا من تصانيفه، وسمع "الكتب الستة" و "المسند" و" الموطأ" و "سنين الدارقطني" و "شرح السنة للبغوي"، وغيرها من الكتب.

قال الذهبي: ذكر شيخنا أبو الحسن بن العطارة أن الشيخ مجد الدين ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درسا على مشايخه شرحا وتصحيحا، درسين في " الجمع بين الصحيحين" ودرسا في " صحيح مسلم" ودرسا في " اللمع" لابن جني، ودرسا في " إصلاح المنطق" لابن السكيت، ودرسا في التصريف، ودرسا في أصول الفقه، ودرسا في أسماء الرجال، ودرسا في أصل الدين.

وأخذ في التصنيف في حدود السنتين والستمائة، أي كان عمره في حدود ثلاثين سنة. وكان مع تبحره في العلم وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة، وغير ذلك مما قد سارت به الركبان- رأسا في الزهد، وقدوة في الورع عديم المثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قانعا باليسير، راضيا عن الله، مقتصدا في الغاية: في ملبسه ومطعمه، وأثاثه، تعلوه سكينة وهيبة. [1]

وفاته:

وفي سنة **676هـ** رجع إلى نوى بعد أن ردَّ الكتب المستعارة من الأوقاف، وزار مقبرة شيوخه، فدعا لهم وبكى، وزار أصحابه الأحياء وودّعهم، وبعد أن زار والده زار بيت المقدس والخليل وعاد إلى نوى فمرض بها وتوفي في 24 رجب.

ولما بلغ نعيمه غلى دمشق ارتجت هي وما حولها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفا شديدا، وتوجه قاضي القضاة عزّ الدين محمد بن الصانع وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة عليه في قبره.

وهكذا انطوت صفحة من صفحات عَلَمٍ من أعلام المسلمين، بعد جهاد في طلب العلم، ترك للمسلمين كنوزا من العلم.

رحم الله الإمام النووي رحمة واسعة، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا، وجمعنا به تحت لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.[2]

---

[1] النووي: المرجع السابق، ، ص6.

[2] العثيمين: المرجع السابق، ، ص4.

ثالثا – نماذج من التقديم والتأخير في كتاب رياض الصالحين:

أ–تقديم خبر إن على اسمها:

قدمت العرب خبر إن على اسمها لأغراض بلاغية عديدة، كما اختلفت باختلاف معانيها، فلا نستطيع أن نضع غرضا دون فهم المعنى المقصود منه في القرآن أو الحديث، وكثيرة هي الأمثلة تناولها الحديث النبوي الشريف خاصة في نمط تقديم خبر إنّ على اسمها، وهذه الأغراض لا تكون إلا إذا دعت إليه الحاجة.

ومثال ذلك في الحديث النبوي الشريف في تقديم خبر إن على اسمها نذكر: قال بن رفاعة عن أبيه عن جده، قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّنَا نَلقَى العَدُوَّ غدًا ولَيْسَ مَعَنَا مَدَى فَقَالَ مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وذُكِرَ اسمَ اللهِ فَكُلُوا مَا لَمْ يَكُنْ سِنَ وَلَا ظَفْرُ وسَأُحَدثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، أَمَّا السِّنُّ فَعَظْم وأَمَّا الظفْرُ فَمَدي الحَبَشَةِ وَتَقَدمِ سُرْعَان الناسَ فَأَصَابُو مِنَ الغَنَائمِ وَالنبِيُّ فِي آخرِ الناسِ فنَصَبُوا قُدورًا فَأَمَرَ بِهَا فَانْكَفَئَتْ وَقَسَمَ بَيْنَهُمْ وَعَدَلَ بَعِيدُ بِعَشْرِ شِيَاة ثمّ نَدَّ بَعِيرٍ مِنْ أَوَائِلِ القومِ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ خيْلُ فَرَمَاهُ رَجُلُ بِسَهْم فحبسهُ الله فقال: إنّ لِهَذِهِ البَهَائمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الوَحْشِ، فَمَا فَعَلَ مِنْهَا هَذَا فَافْعَلوا مِثْلَ هَذَا)) لقد قصد بالبهائم مِنَ الإِبِلِ و كَأَوَابِدِ الوَحْشِ أيْ نَفَارُ كَنَفَار الوَحْشِ))، فهو قد خصص هذه البهائم دون غيرها بأن لها أوابد كأوابد الوحش فغيرها من البهائم قد لا تملك تلك الأوابد.[1]

وقد وردت أمثلة كثيرة في هذا النمط في كتاب رياض الصالحين منها قوله صلى الله عليه وسلم: ((**إنَّ بِالمَدينَةِ لَرِجَالًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتُمْ واديا إلّا كانوا مَعَكُمْ، حبسهم المرضَ**)) [2]، فمن خلال هذا الحديث تقدم خبر إنّ الذي هو شبه الجملة جار ومجرور "بالمدينة" على اسمها، "رجالا"، لأن رجالًا نكرة، ومن مسوغات الابتداء بالنكرة تقدم الخبر شبه الجملة عليه، والأصل إنّ رجالًا بالمدينة فالتخصيص هنا أن الإنسان إذا نوى العمل الصالح ولكنه حبسه عنه حابس فإنه يكتب له الأجر، أجر ما نوى أمّا إذا كان بعمله في حال عدم العذر، أي لما كان قادرا كان يعمله ثم عجز عنه فيما بعد فإنه يكتب له أجر العمل كاملا، كما أن في هذا الحديث إشارة إلى أن من خرج في سبيل الله في الغزو والجهاد فإنه له أجر ممشاة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه

---

[1] رملة رشيد إسماعيل الناصري: التقديم والتأخير في صحيح البخاري، دراسة بلاغية، أطروحة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للبنات جامعة تكريت، 1423هـ، 2003م، ص 88.

[2].العثيمين: المرجع السابق، ص17.

وسلم " مَا سِرتُمْ مسيراً ولا قطعتُمْ واديا ولاشعبا إلّا وهم مَعَكُمْ"[1]، كما ورد في حديث آخر تقديم خبر إنّ على اسمها لغرض التخصيص والاهتمام، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّ ابْنِي قَدْ احتَضرَ فَاشهَدنا فأرْسَلَنَا يقرئُ السلام، ويقول: إِنَّ لله مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بأجل مُسَمًّى فلتَصْبِرْ ولتَحتَسِبْ**"[2] فقد تقدمت شبه الجملة "الله" التي هي خبر إنَّ، وتأخر اسم الموصول "ما" الذي هو اسم إنّ، وقد تقدم الله الذي هو خبر إن حتى يعود الضمير المستتر، عليه عن "ما" الذي هو اسم إنّ، والأصل إنّما أخذَهُ لله" فالتخصيص والاهتمام بالله واضح إذ أنه أول من يجب تخصيصه عن البشر وحتى عن الأنبياء فهو المخصوص بالعبادة، إذا كان الشيء كله لله إذا أَخَذَ منك شيئا فهو ملكه وإن أعطاك شيئا فهو ملكهُ فكيف تسخط إذا اخذ منك ما يملكه هو؟ ولهذا فعليك إذا أخذ الله منك شيئا محمودًا أن تقول هذا: لله أن يأخذَ ما شاء وله أن يُعْطي ما شاء، ولهذا يسن للإنسان إذا أصيب بمصيبة أن يقول: "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون" يعني نحن ملك لله يفعل بنا ما يشاء كذلك ما نحبه إذا أخذه من بين أيدينا فهو له عز وجل، حتى الذي يعطيك أنت لا تملكه فهو لله. ولهذا لا يمكنك أن تتصرف في ما أعطاك الله إلا ما أذن لك فيه، وهذا دليل على أن ملكنا لمّا يعطينا الله ملك قاصر ما نتصرف فيه تصرفًا مطلقا ولو أراد الإنسان أن يتصرف في ماله تصرفا مطلقا على وجه لم يأذن به الشرع قلنا له أمسك لا يمكن لأن المال مال الله، كما قال تعالى: " ءاتُوهُمْ منْ مَالِ الله الذي ءاتاكُمْ" **سورة النور الآية 33**.

فلا تتصرف فيه إلا على الوجه الذي أدن لك فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((ولله ما أَخَذَ ولله ما أَعْطَى)). فذا كان لله ما اخذ فكيف نَجْزَعُ وكيف نتسخط أن يأخذ المالك ما ملك؟ هذا خلال المعقول والمنقول.[3]

وكما ورد هذا النمط من التقديم في حديث آخر: ((**فَإذا اقْتَحَمْتموها فأحْسِنُوا إلى أهْلِهَا فإنَّ بِهُمْ ذِمَّةً ورَحِمًا**))[4]. **أو قال**: ((ذِمَّةً وصهْرًا))، حيث تقدم خبر "إنَّ" وهو شبه الجملة "لهم" على اسمها "ذمَّةً والأصل"، " فإنَّ ذمةً ورَحِمًا لَهُمْ"، متعلق بمحذوف كائن أو موجود ففي هذا الحديث يدلنا صلى الله عليه وسلم على أهمية صلة الرحم، أي صلة القرابة في توطيد العلاقات وتقوية أواصر الأخوة والمحبة بين الأفراد وتنمية روح الحوار، مما يؤدي إلى انتشار الخير والسلام وزوال أمراض القلوب من حسد وبغض وغيره، ففي قوله صلى الله عليه

---

[1] العثيمين: المرجع السابق، ص18.

[2] العثيمين: المرجع نفسه، ص74.

[3] العثيمين: المرجع نفسه، ص 75.

[4] االعثيمين:لمرجع نفسه، ج2، ص 153.

وسلم: "إنَّ لَهُ ذِمَّةً ورَحِمًا"، أو "ذِمَّةً وصِهْرًا"، قال العلماء: الرحم: التي لهم كون هاجرَ أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم منهم: والصهر: كون مارية أم إبراهيم إن رسول الله عليه السلام منهم، وقال: " إن لهم رَحِمًا وصِهْرًا" وذلك أن هاجر أم إسماعيل سرية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كانت من مصر ولهذا قال: " إنّ لهم صِهْرًا ورَحِمًا"، لأنهم أخوال إسماعيل، وإسماعيل هو أبو العرب المستعربة كلها، فدل ذلك على أن الرحم لها صلة ولو كانت بعيدة، ما دمت تعرف أن هؤلاء من قبيلتك، فلهم الصلة ولو كانوا بُعَدَاءُ، ودل على أن صلة القرابة من جهة الأم كصلة القرابة من جهة الأب.[1]

كما ورد نمط آخر من التقديم في حديث آخر قوله صلى الله عليه وسلم: ((**يَا بني عَبْدِ شَمْسٍ، يَا بني كَعْب بن لُؤَى، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ من النَّارِ، يا بني مُرَّة بن كَعْب، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ من النَّارِ، يا بني عَبْد مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ من النَّارِ، يا بني هَاشِم أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ من النَّارِ، يا بني عبد المُطَّلب أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ من النَّارِ، يا فاطمة أَنْقِذي نَفْسَك من النّار، فإني لا أَمْلِكُ، لَكُمْ من الله شيئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا ببلالِهَا**)).[2]

فهنا تقدم خبر إنَّ وهو "لَكُمْ" على اسم إنّ وهو رَحِمًا لغرض التخصيص والتوكيد، فقوله صلى الله عليه وسلم: بِبَلَالِهَا هو بفتح الباءُ الثانية وكسرها والبلَالُ الماءُ، ومعنى الحديث: سَأَصِلُهَا: حيث قطيعتها بالحرارة تُطفأ بالماءِ وهذه تبرُّدُ بالصلة، فهذا الحديث أيضا يدل على أهمية صلة الرحم أي صِلَةُ القرابة، وكذلك يبين أنّ لَهُمْ رَحِمًا سَيبلُّهَا بِبَلَالِهَا، أي سَيبلُّهَا بالماءِ، وذلك لأن قطيعة الرحم نار والماء يُطفئُ النار، وقطيعة الرحم موت، والماء به الحياة، فهناك الرسول صلى الله عليه وسلم يشبه صلة الرحم بالماء الذي يُبَلُّ به الشيء، والأصل هُنَا: " غير أنّ رَحِمًا لَكُمْ".[3]

فصلة الأرحام غاية ترضي الله تعالى، فهو الذي أَمَرَ بها عباده لكي لا تكون هناك نزاعات واختلافات بين الناس، أو نستطيع أن نقول بصلة الأرحام نخلق إحسانًا وعفافًا وصدقًا بيننا كأفراد، فلا يمكن لأمة من الأمم أن تقوم بدون ضوابط أخلاقية، فالوازع الديني له دور كبير في ترسيخ وتقوية مثل هذه العلاقات، ومنه فقد

---

[1] العثيمين، المرجع السابق، ص ص 153-154-155.

[2] المرجع نفسه، ص 154.

[3] المرجع نفسه، ص ص 154-155.

تعددت أحاديثه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كثيراً حيث قال: ((**إنَّ آل بني فُلَانٍ لَيْسُوا بأوليائي إنَّمَا وَلي اللهُ فصالحُ المؤمنينَ، ولكن لَهُمْ رَحِمٌ أَبَلُّهَا بِبَلَالِهَا**)). [1]

فهناك تقدم خبر إنَّ وهو "لكم" على اسمها وهو "رَحِمُ" الغرض الاختصاص والأصل و ((**لَكِنْ لَهُمْ رَحِمُ أَبَلَّهَا بِبَلَالِهَا لَهُمْ**)) ففي هذا الحديث أيضا تتجسد أهمية صلة الرحم، وفي قوله ((**لَكِنْ لَهُمْ رَحِمُ أَبَلَّهَا بِبَلَالِهَا**)) يعني أعطيها حقها من الصلة، وإن كانوا كفاراً، وهذا يدل على أن القريب له حق الصلة وإن كان كافرً لكن ليس له الولاية، فلا يوالي ولا يناصَر لما عليه من الباطل، فمن هذا الحديث نستخلص أن قريبك مهما كان لابُدَّ من صِلَته حتى وإن لم يَكُن مُؤمِنًا ولا تتجاهله مهما كانت الظروف.

ب –تقديم خبر كان على اسمها:

وقد ورد هذا النمط من التقديم في حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يبيتُ الليالي المتتابعة طاويًا وأهلُهُ لا يجدونَ عشاءً، وكانَ أكثر خُبْزِهِمْ خُبْزُ الشَّعير)). [2]

فهنا تقدم خبر كان وهو **أكثر** على اسمها وهو **خبْز** لغرض التنبيه على الخبرية، فالسياق العام لهذا الكلام جاء في معرض الحديث عن معاش النبي صلى الله عليه وسلم هو وأهله، فبيت النبوة يمر عليهم الهلال والهلالان لا يجدون شيئا يأكلونه ولذلك جاء تقديم خبر كان على اسمها للدلالة على أهمية الخبر فالغالب على حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأهله أنهم لا يجدون ما يتعشون به وإن وجدوا فأكثر شيء خبز الشعير وخبز الشعير طعام خشن بالمقارنة مع أطايب الطعام الأخرى.

كما ورد هذا النمط من التقديم أيضا في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**يُوشِكُ أن يكونَ خَيْرَ مال المسْلِمِ غنمٌ يتبعُ بها شَغَفَ الجبَال، ومَوَاقِعَ القَطْرِ يفرُّ بدينه من الفِتَنِ**))، ففي هذا الحديث تقدم خبر كان وهو خير على اسمها وهو غَنَمٌ لغرض الاهتمام بأمر المتقدِّم فالأصل ((**يُوشِكُ أن يكونَ غنمٌ خَيْرَ مال المسْلِمِ**)) فالمقصود من هذا الحديث أن الأفضل هو المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، هذا أفضل من

---

[1] المرجع نفسه، ص 154.

[2] المرجع نفسه، ص ص154-155.

[3] أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، 1417هـ 1997م، ص 128.

المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم، ولكن أحيانا تحصل أمور تكون العزلة فيها خيرا من الاختلاط بالناس، من ذلك إذا خاف الإنسان على نفسه فتنة مثل أن يكون في بلدٍ يطالب فيها بأن ينحرف عن دينه، أو يدعوا إلى بدعة أو يرى الفسوق الكثير فيها، أن يخشى على نفسه من الفواحش فهنا تكون العزلة خيرا له ولهذا أُمِرض الإنسان أن يهاجر من بلد الشركِ إلى بلد الإسلام، ومن بلد الفسوق إلى بلد الاستقامة، فكذلك إذا تغير الناس والزمان فهذا هو التقسيم، تكون العزلة هي الخير إن كان في الاختلاط شرٌّ وفتنة في الدين، وإن الأفضل أن الاختلاط هو الخير،يختلط الناس بالناس فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يدعوا إلى حق، يبين السنة للناس فهذا خير.

لكن إذا عجز عن الصبر وكثرت الفتن، فالعزلة خير ولو أن يعبد الله على رأس جَبَلٍ أو في قعرِ وَادٍ.[1]

ت –تقديم خبر ليس على اسمها:

يتقدم خبر ليس على اسمها لأنها أضعف من كان، ولا يجوز تقديم خبرها عليها وأقوى من (ما) لأنها حرف ولا يجوز تقديم خبرها على اسمها فجعل لها منزلة بين المنزلتين فلم يجز تقديم خبرها عليها نفسها لتحط على درجة (كان) ويجوز تقديم خبرها على اسمها لترتفع عن درجة (ما) [2]، ويتقدم خبر ليس على اسمها لأغراض بلاغية منها: التخصيص، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: ((**عَرَضْتُ عَلَى الأمَمِ، فَرَأَيْتُ النبي ومعهُ الرُهَيْطُ والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبيُ وليس مَعَهُ أحدٌ، إذا رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتي فقيل لي: هذا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ أَنْظُرُ إِلَى الأُفُقِ فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ عَظيمٌ فَقِيلَ لي: هذه أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سبعون أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولَا عَذَابٍ**)). [3]

أي أن الأَصلَ ليس مع النبي أحدٌ، وجاء تقديم خبر ليس معناه شبه الجملة جار ومجرور "معه" على اسمها وهو "أَحَدٌ"، الذي هو مُبتدأ نكرة فمن مسوغات الابتداء بالنكرة تقديم الخبر لغرض التخصيص، وهنا خص بالرؤية النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل الخلق، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليسوا كلهم قد أطاعهم قومهم، فالرُّهَيطُ بضم الراءِ: تصغير رَهط، وهُمْ دُونَ عشرةِ أَنْفُس. و"الأُفُقُ": النَّاحِيَةُ والجانب، وهذا الحديث العظيم الذي أخبرَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الأُمم عرضت عليه، أي أرى الأمم صلى الله عليه

---

[1] العثيمين: المرجع السابق،ص ص 289-290.

[2] رملة رشيد إسماعيل الناصري: المرجع السابق، ص 93.

[3] العثيمين: المرجع السابق، ج1، ص 238.

وسلم وأنبيائهم، ويقول: ((فرأيت النبي ومعه الرهيط)) أي الرهط القليل الذي ما بين الثلاثة إلى العشرة. والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، أي: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس كلهم قد أطاعهم قومهم، بل بعضهم لم يطعه أحد من قومهم وبعضهم أطاعه الرهط، وبعضهم أطاعه الرجل والرجلان، وانظر أن نوحًا عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يذكرهم بالله ويدعوهم إلى الله[1]. ويقول كذلك "رفع لي سواد" أي: بشر كثير فيهم جهمة من كثرتهم " فظننت أنهم أمتي فقيل: هذا موسى وقومهُ" لأن موسى من أكثر الأنبياء أتباعًا، بعث في بني إسرائيل وأنزل الله عليه التوراة التي هي أم الكتب الإسرائيلية، أما الكلام الذي أتى بعده في الحديث " ثم قيل لي: انظر، فَنَظرت إلى الأفق فإذا سواد عظيم، أي أنه منذ بعث إلى يوم القيامة والناس يتبعونه صلوات الله وسلامه عليه فكان أكثر الأنبياء تابعًا يملأ أتباعه ما بين الأفقين، أما عن " سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" أي: مع الأمة سبعون ألفًا يدخلون الجنة لا يحاسبون ولا يعذبون من الموقف إلى الجنة بدون حساب ولا عذاب، اللهم اجعلنا منهم.[2]

ث – تأخير اسم لا يزال على شبه الجملة:

كما هو معروف أن لازال من أخوات كان يعمل عملها، فيرفع الأول ويسمى اسمها وينصب الثاني ويسمى خبرها، حيث يتأخر اسم لازال على خبرها (شبه الجملة) لعدة أغراض أهمها: التخصيص، **كما ورد في كتاب رياض الصالحين في قوله صلى الله عليه وسلم: ((يا رسول الله إنَّ لِي قرابةً أَصِلُهُمْ ويقطعونني، وأحْسِنُ إليهمْ ويسيئون إليَّ، وأَحْلُم عَنهم ويجهلُون علي، فقال: لَئِنْ كُنتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأنَّمَا تُسِفُهمْ المَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))**.[3]

حيث تأخر اسم لازال وهو ظهير على شبه جملة "معك من الله" فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خص الإنسان الواصل لأهله وأقاربه أنه ليس الإنسان المكافئ الذي إذا اقتطعت رحمه وصله، فتكون صلته لله لا مكافأة لعباد الله، ولا من أجل أن ينال بذلك مدحًا عند الناس[4] ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يفاءل ويشجع الشخص الذي يصل رحمه وهم يقطعونه بالعون من الله أي أن الله سبحانه وتعالى يعينه

---

[1] العثيمين: المرجع السابق، ص ص 238-239.

[2] المرجع نفسه، ص 239.

[3] العثيمين: المرجع السابق، ج2، ص 150.

[4] العثيمين: المرجع نفسه، ص 151.

عليهم مادام على ذلك أي يصلهم وهو يقطعونه، فقال: " إن كنتَ" يعني كما تقول: فكأنما تسفهم الملّ"، والمل هو الرماد الحار، وتسفهم: يعني تجعله في أفواههم، والمعنى: أنك كأنما ترغمهم بهذا الرماد الحار عقوبة لهم، "ولا يزال لك من الله عليهم ظهير" يعني عون عليهم مادمت على ذلك، أي تصلهم وهو يقطعونك.

وعليه فهذا الحديث وما شابهُ تدل على أنه يجب على الإنسان أن يصل رحمهُ وأقاربه بقدر ما يستطيع وبقدر ما يرجى به العرف، ويحذر من قطيعة الرحم.[1]

ج – تقديم المفعول به على الفاعل:

لابد من رصد التركيب النحوي للجملة الفعلية التي حدث فيها انحراف عن المعيار النحوي؛ لأن ملاحظة تشكيل التركيب النحوي يسهم في استنباط القيم الدلالية للانزياح في التركيب.

ويتقدم المفعول به على الفاعل لعدة أغراض أهمها: التخصيص ومثال ذلك قوله تعالى: « **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**»[2]، حيث تقدم المفعول به الله على الفاعل (العلماء) والغرض من التقديم والتأخير أن يبين الخاشين منهم، ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم ولو أخر ذكر اسم الله وقدم العلماء فقيل: "إِنَّمَا يَخْشَى العُلَمَاء الله" ومنه لصار المعنى خلاف ما تقصده الآية، ولصار الغرض بيان المخشي من هو، والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره.

وهذا النمط من التقديم موجود في كتاب رياض الصالحين، في قوله صلى الله عليه وسلم ((**لَا يَلِجُ النار رَجُلٌ بكَى مِنْ خشْيَةِ اللهِ حتَّى يعود اللَّبنُ في الضرع ولا يَجْتَمِعُ غبارٌ في سبيل الله وَدُخَّانُ جَهَنَّمَ**))[3]. وهنا تقدم المفعول به وهو "النار" على الفاعل وهو "رَجلٌ" لغرض التخصيص والاهتمام، وهذا الحديث يندرج ضمن الأحاديث التي تتناول فضل البكاء من خشية الله سبحانه وتعالى يعني خوفًا منه سبحانه وتعالى وشوقا إليه فللبكاء أسباب فقد يكون تارة الخوف وتارة يكون الألم وتارة يكون الشوق وغير ذلك من الأسباب التي يعرضها الناس فالبكاء من خشية الله إما خوفا منه إما شوقا إليه تبارك وتعالى، فإذا كان البكاء من معصية فعلها الإنسان

---

[1] المرجع نفسه، ص 151.

[2] عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، ص 213.

[3] العثيمين، المرجع السابق، ص 218.

فهذا البكاء سببه الخوف من الله عز وجلَّ، وإذا كان بعد طاعة فعلها، كان هذا البكاء شوقا إلى الله سبحانه وتعالى.[1]

كما ورد في حديث آخر هذا النوع من التقديم، يقول صلى الله عليه وسلم: ((**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إنَّمَا أَهْلَكَ ما كان قَبْلَكُمْ كَثْرة سُؤَالهم واخْتِلَافِهم عَلَى أَنْبِيَّائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُم عن شَيْء فاجْتنبوهُ، وإذا أَمَرْتُكُمْ بشيء فأْتُو مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**)).[2]

فهناك تقدم المفعول به اسم الموصول " مَنْ" على الفاعل "كَثْرَة" الغرض **الحصر** بإنما والأصل " إنما **أَهْلَكَ كَثْرة من كان قَبْلَكُمْ سُؤَالهم واخْتِلَافِهم عَلَى أَنْبِيَّائِهِمْ**" فهذا الحديث يعني أن الدين من قبلنا أكثر والمسائل على الأنبياء، فشَدّدوا على أنفسهم ثم اختلفوا على أنبيائهم أيضا، فَلَيتَهُمْ لما سَألوا فأجيبوا قاموا بما يلزم ولكنهم اختلفوا على الأنبياء والاختلاف على الأنبياء يعني مخالفتهم.[3]

كما ورد أيضا هذا النمط من التقديم في حديث آخر: يقول صلى الله عليه وسلم: ((**إني أراكَ تُحبُّ الغَنَمَ والبادية فَإذَا كُنْتَ في غَنَمكَ– أو باديَتكَ– فَأَذَّنْتَ للصَّلَاة، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاء، فإنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَى صوت المؤذن جِنٌّ، ولا إنسٌ، ولا شيءٌ، إلّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القيَامَة**)).[4]

فهنا تقدم المفعول به وهو مدى على الفاعل وهو جنٌّ لغرض التخصيص والاهتمام بأمر المتقدم، فهذا الحديث ساقه المؤلف رحمهُ الله في (رياض الصالحين): في باب فضل الآذان وأن صاحبه يشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويها لفضله وبيانا لثوابه.

كما ورد هذا النمط من التقديم في حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: ((**أَفْضَلُ دينار يُنْفِقُهُ الرجُلُ دينارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عَيَالِه، ودينارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَابتِهِ في سَبيلِ اللهِ ودينارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**)). فهنا تقدم المفعول به (ضمير متصل الهاء) في ينفقهُ على الفاعل وهو (الرَّجُلُ) لغرض التخصيص والاهتمام بشأن المتقدم. فهذا الحديث ذكره المؤلف في باب النفقة على الأهل، فيدل على فضيلة الإنفاق على الأهل، وأنه

---

[1] العثيمين: المرجع السابق، ص 218.

[2] العثيمين: المرجع نفسه، ج1، ص 371.

[3] العثيمين:المرجع نفسه، ص ص 371- 372.

[4] العثيمين:المرجع نفسه، ج3، ص 197.

أفضل من الإنفاق في سبيل الله وأفضل من الإنفاق في الرقاب، وأفضل من الإنفاق على المساكين وذلك لأن الأهل ممن ألزمك الله بهم. [1]

وقد ورد أيضا هذا النمط من التقديم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ**))[2] فهنا تقدم المفعول به وهو "**الله**" على الفاعل وهو "**عبدٌ**" فالأصل " **لَا يَلْقَى عَبْدٌ اللَّهَ**" وهذا لغرض التعظيم والاهتمام بأمر المتقدَّم فهنا تقدم لفظ الجلالة **الله** لعَظَمَتِه، والاهتمام به لكونه أولَى بالعبادة والاهتمام، والحديث في مجمله يتكلم عن قضية كبرى وهي التوحيد فجاء ذكر شعار التوحيد (الإسلام) " لا إله إلا الله محمد رسول الله" ثم بعد ذلك ربط هذا الشعار بالآخرة ولقاء الله مع اليقين بهاتين الكلمتين ليكون الجزاء الجنة ولم يهتم السياق النبوي بقائل الكلمتين بقدر ما اهتم بالكلمتين وربطهما بلقاء الله والجنة والشاهد في ذلك مجيء كلمة "عبدٌ" وهي فاعل بصيغة النكرة لإفادة العموم. فعبد لا تعني زيدًا أو عمرًا من الناس فحسب أو جنس معين أو لون معين، أو سن دون سنٍّ، ولكن قال من الخلق هاتين الكلمتين بإخلاص غير شاك كان جزاؤه الجنة.

ح –تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معا:

يجوز تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معا في نحو: عليا أَكْرَمْتُ، وأكرمت عليًا، وقد يتقدم المفعول به على الفعل والفاعل معا في أربعة مسائل وهي أن يكون اسم شرط واسم استفهام أو مضاف لاسم استفهام وأجاز بعض العلماء تأخير اسم الاستفهام إذا لم يكن الاستفهام ابتداء، أن يكون "كم" أو "كأيّن" الخبر يتين أو مضافا إلى كمْ الخبرية نحو: " ذنب كم مُذنب غَفَرت!".[3]

وهذا ما ورد في كتاب رياض الصالحين في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فوالله ما الفَقْر أخشى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عليكُمْ كما بسطت عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فتنافَسوها فتهلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ**))[4]، فهناك تقدم المفعول به وهو الفقر على الفعل وهو أخشى والفاعل وهو الضمير المستتر في أخشى لغرض التخصيص فالأصل " والله ما أخشى الفقرَ عَلَيكُمْ" فهذا الحديث يندرج ضمن

---

[1] العثيمين: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صل الله عليه وسلم ج2، ص ص 136-137.

[2] النووي : المرجع السابق، ص 144.

[3] عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، ص 11.

[4] العثيمين، المرجع السابق، ج2، ص 225.

باب الزهد في الدنيا والترغيب فيه فالزهد أعلى من الورع، والفرق بينهما: أن الورع ترك ما يضر، والزهد ترك ما لا ينفع، فالأشياء أقسام منها ما يضر في الآخرة، ومنها ما لا ينفع، ومنها ما لا يضر وما لا ينفع، فالمقصود من قول الرسول صلى الله عليه وسلم هنا أنه صلى الله عليه وسلم لا يخشى علينا الفقر، فالفقر قد يكون خير للإنسان فالفقير في الغالب أقرب إلى الحق من الغنى.. فالرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكذّبهم إلا الملأ الأشرار الأغنياء وأكثر من يتبعهم الفقراء. حتى النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من اتبعه الفقراء، فالفقر لا يخشى منه، بل الذي يخشى منه أن تبسط الدنيا علينا، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام (ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم. وخير مثال على ذلك واقعنا اليوم، فلما كان الناس إلى الفقر أقربَ، كانوا لله أتقى وأخشع وأخشى، ولما كَثُرَ المالُ كَثُرَ الإعراض عن سبيل الله وحصل الطغيان، وصار الإنسان الآن يتشوق لزهرة الدنيا وزينتها، سيارة، بيت، لباس يباهي الناس بهذا كله، ويعرض عما ينفعه في الآخرة.[1]

خ- تقديم متعلقات الفعل:

تتردد الأغراض التي يحققها هذا التقديم من أن تكون أغراضا حقيقية لا دخل للبلاغة فيها وأن تكون أغراضا بلاغية تعرض لها هنا من حيث هي كلام بليغ ومقال يقتضيه المقام، فمن الأغراض الحقيقية تصحيح خطا المخاطب كقولي لمن اعتقد أنني صادقت إنسانًا.[2]

ويتقدم متعلقات الفعل من الجار والمجرور على الفعل لأغراض عديدة:

أهمها التخصيص كما ورد في الحديث الشريف: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((**اللهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ، وبِكَ أنَبْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خَاصَمْتُ. اللهُمّ إنِّي أعوذ بعِزَّتِكَ لَا إله إلا أَنْتَ أنْ تضِلَّنِي أنْتَ الحيُّ الذي لَا تَموتُ والجنُّ والإنسُ يموتُون**)).[3]

والتخصيص واضح في الحديث دل عليه تقدم متعلقات الفعل شبه الجملة جار ومجرور: (**لك، عليك إليك**) على الفعل (أسلم وتوكل وأناب و خاصم)

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 225-226.

[2] عبد العزيز قلقيلة:البلاغة الإصطلاحية ، ص 229.

[3] العثيمين، المرجع السابق، ج1، ص 241.

حيث خص الله وحده في هذا الحديث وذلك لعظمه والاهتمام به لأنه الوحيد الذي يسلمُ العبد له ويتوكل عليه في كل الأحوال والظروف مهما كانت و الأصل ((**اللهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ لَكَ وَتَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ وَأنَبْتُ إلَيْكَ وخَاصَمْتُ بِكَ**)).

ومن هذا النمط من التقديم ما ورد في حديث: ((**يَا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظّلم عَلَى نفسِي وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُم مُحرَّمًا فلا تظالمُوا، يَا عِبَادِي كلُّكُمْ جائعٌ إلَّا منْ أطعمتهُ، فاستطعموني أطعمْكمْ، يَا عِبَادِي كلُّكُمْ عَارٍ إلَّا منْ كَسوْتُهُ فاسْتكْسُوني أكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إنَّكُمْ تُخْطِئونَ باللّيلِ والنَّهَارِ وأنا أغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا استَغْفِروا لي أَغْفِرْ لكمْ يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ياعبادي لو أن أولكم وآخرُكُم، وإنْسكُمْ وَجِنِّكُمْ كانوا على اتقى قلبِ رجُلٍ وَاحدٍ منكمْ ما زَادَ ذلك في ملكي شَيئا، يَا عِبَادِي لو أَنَّ أوَّلَكُم و آخِركُمْ وإنسكُمْ وجِنِّكُمْ كَانوا عَلَى أَفْخَرِ قلبِ رجُلٍ وَاحدٍ منكمْ ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شيئا، يَا عِبَادِي لو أَنَّ أوَّلَكُم وآخِركُمْ وإنسكُمْ وجِنِّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فسألوني فأعْطَيْتُ كلَّ إنسانٍ مسْأَلَتَهُ، ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كَمَا ينقص المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إنَّمَا هي أعْمَالُكُمْ أُحصِيها لَكُمْ، ثُمَّ أوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلكَ فَلَا يَلُومَنَّ إلَّا نفسه**)).[1]

فهنا قدم بينكم وهو شبه الجملة من ظرف مكان وضمير متصل (كم) على محرَّمًا لأن بينكم متعلق بمحرّما قدَّمَ عليه فالأصل "**وجَعَلْتُهُ مُحرَّمًا بَيْنَكُم**" لأن في التقديم غاية وهي الاهتمام والتخصيص فالله سبحانه وتعالى خصَّ نفسه بأنّه حرَّمَ الظلم على نفسه وجعله محرَّما بين البشر فيقول: " **إنِّي حَرَّمْتُ الظّلم عَلَى نفسِي**": أي ألَّا أظلم أَحَدًا لا بزيادة سيئات لم يعملها ولا ينقص حسنات عملها، بل هو سبحانه وتعالى حكم عدل محسن، فحكمه وثوابه لعباده دائرين بين أمرين؛ بين فضل وعدل، فضل لمن عمل الحسنات، وعدل لمن عمل السيئات، وليس هناك شيء ثالث وهو الظلم[2]، وفي قوله تعالى: " **إنِّي حَرَّمْتُ الظّلم عَلَى نفسِي**" دليل على أنه جلَّ وعلَا يحرّم على نفسه ويوجب على نفسه، فمما أوجب على نفسه الرحمة، قال تعالى: " **كَتَبَ رَبُّكُم على نفسه الرحمة" سورة الأنعام: الآية: 54** ومما حرَّم على نفسه الظلم، وذلك لأنه فعال لما يريد يحكم بما يشاء

[1] العثيمين: المرجع السابق، ص 305.

[2] العثيمين :المرجع نفسه، ص 306.

فكما أنه يوجب على عبادهِ ويحرم عليها، يوجب على نفسه ويحرم عليهم جلَّ وعلَا، لأن له الحكم التام والمطلق وقوله تعالى: " **وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُم مُحرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**": أي لا يظلم بعضكم بعضا. [1]

د- تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ:

تقديم الخبر على المبتدأ كسر للرتابة النحوية ومن شأنه أن يمنح المبدع طاقة تعبيرية لتنظيم انفعالاته وترتيب رغباته، فيقدم ما يطفو على سطح وجدانه وفكره، ويؤخر ما يترسب في أعماقه.[2]

ومنه فيتقدم خبر المبتدأ على المبتدأ لعدة أغراض أهمها: **التخصيص**[3] **والاهتمام بأمر المتقدم**: أي تخصيص الخبر بالمبتدأ، فإنك إذا قدمت الخبر خصصته به، أما إذا بقي الخبر متأخرا فإنك لم تخصص شيئا كما ورد في الحديث الشريف: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: ((**منَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجلِ وَالِدَيْهِ! قالوا: يا رسولَ اللهِ وَهَلْ يشتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قال: نَعَمْ، يَسُبُّ أبا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**)). فالحديث خصَّ شتم الوالدين بالذات على انه من الكبائر، فهذا الحديث يدل على تحريم قطيعة الرحم وعقوق الوالدين، فالمقصود بـ ((منَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجلِ وَالِدَيْهِ)). يعني سبُّهُمَا وَلَعْنُهُمَا كما جاء ذلك في رواية أخرى ((**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ**)). قالوا: يا رسول الله، كيف يشتم الرجل والديه؟ لأن هذا الأمر مستغرب وأمر بعيد. قال ((نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أُمَّهُ))، وهذا بالضبط ما ورد في رواية ((**إنَّ منَ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجلُ وَالِدَيْهِ!** قيل: **يا رسول اللهِ كيف يَلْعَنُ الرَّجلُ وَالِدَيْهِ؟! قال**: ((**يَسُبُّ أبا الرَّجُلَ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**)).

وذلك تحذير من أن يكون الإنسان سببًا في شتم والديه بأن يأتي إلى شخص فيشتم والدي الشخص فيقابله الشخص الآخر بالمثل ويشتم والديه، ولا يعني ذلك أن يجوز للثاني أن يشتم والدي الرجل؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ولكنه في العادة والطبيعة أن الإنسان يجازي غيره بمثل ما فعل به، فإذا سَبَّهُ سَبَّهُ[4] وهذا المثال وارد في القرآن الكريم، كما اهتم هنا أيضا بشأن المتقدم (الكبَائر) أي أن شتم الوالدين من الكبائر التي لا يرض الله عنها.

---

[1] المرجع نفسه، ص 306.

[2] عبد الهادي عتيق: المرجع السابق، ص 216.

[3] المرجع نفسه، ص 214.

[4] العثيمين، المرجع السابق، ج 2، ص ص 159- 160.

كما ورد هذا النمط من التقديم في حديث آخر ((**يؤتى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ ألفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يحُرُّونَهَا**)).[1] فهنا تقدم الخبر الجار والمجرور وهو "لها" على المبتدا وهو "**سبعونَ**" لغرض تأكيد معنى سابق في الجملة فالأصل " **سَبْعُونَ ألفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ يؤتى بِجَهَنَّمَ**)) فهذا الحديث يفيد الخوف من يوم القيامة ومن عذاب النار، لأن الله تعالى جعل سبعين ألف ملك مع كل زمام من سبعين ألف زمام يجرون بها جهنم والعياذ بالله، فهذا العدد الكبير من الملائمة يدل على أن الأمر عظيم والخطر جسيم.[2]

وقد ورد أيضا هذا النمط من التقديم في حديث آخر: " **مَنْ جَاءَ بالحَسَنَة، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزْيَدُ وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئة، فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مثلها أَوْ أَغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خطِيئةً لا يُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا، لَقَيْتُهُ بِمِثلهَا مَغفِرة**".[3]

مَنْ شرطية، فله جملة الشرط وهنا تقدم الخبر جملة الشرط (**فعله**) على المبتدأ (**عشر**) لغرض **التخصيص** فالحديث هنا خص كل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، أي أن الله سبحانه وتعالى كريم رحيم ورؤوف بالعباد فكلما اتقى العبد ربه بعمل صالح كان له به حسنة والله يجازيه بعشر أمثالها وهذا بالضبط ما أكده سبحانه وتعالى ومعنى الحديث كذلك " من تَقَرَّبَ" إِلَيَّ تقربتُ إليه برحمتي، وإن زاد زِدْتُ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي: صَبَبْتُ عليه الرَّحْمَ، وسَبَقته بها، ولم أُحْوِجْهُ إلى المشي الكثِيرِ في الوصول إلى المقصود، وَقُرَابُ الأرض بضم القاف ويقال بكسرها، والضَّمُّ أَصَحُّ، وأشهر ومعناه: ما يقارب مِلأَهَا، والله اعلم.[4]

كما ورد هذا النمط من التقديم في حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: **فقلت: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ. فقال: لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فإنّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تحية الموتى**)) [5] فهنا تقدم الخبر وهو شبه الجملة وهو جار ومجرور متعلق بخبر محذوف (عليك) على المبتدأ وهو "السلام" والأصل "السلام عليك يا رسول الله". **لغرض الاهتمام بشأن المتقدم والتنبيه عليه.** فالنبي صلى الله عليه وسلم ينبهنا على أن لا نقول عليك

---

[1] العثيمين: المرجع نفسه، ص 198.

[2] العثيمين:المرجع السابق، ص 198.

[3] العثيمين:المرجع نفسه، ص 202.

[4] العثيمين: المرجع نفسه، ص 202.

[5] العثيمين:المرجع السابق، ج3، ص 89.

السلام ونتوقف لأن هذا الرد لا يخص الأحياء وإنما يخص الموتى وعليه لابد أن نرد بتحية وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

إن هذا الحديث الذي ذكره النووي في كتاب رياض الصالحين، من آداب السلام. فهنا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قول عليك السلام فقال: ((إنّ هذه تحية الموتى))، يعني أنهم كانوا في الجاهلية يسلمون على أمواتهم فهم إذا خاطبوا الأموات- ولو كانوا غائبين- لكنهم يستحضرونهم كأنهم بين أيديهم يسلمون عليهم بهذا: عليك سلام الله؛ فلهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، لأنه تحية الموتى، ومشابهة لأهل الجاهلية في جاهليتهم، فبدلا من أن تقول: عليك السلام.قل: السلام عليك. هذا هو السلام- والله أعلم-.[1]

وقد ورد هذا النمط من التقديم في حديث آخر في قوله صلى الله عليه وسلم: " **أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: " نعم إذا كثر الخبث**"[2] فهنا تقدم الخبر (الجار والمجرور) "وفينا" على المبتدأ وهو كلمة الصالحون والأصل " **أنهلك الصالحون فينا**" لغرض التخصيص فالصالح لا يهلك وإنما هو سالم ناج، لكن إذا أكثر الخبث هلك الصالحون، فإذا كثرت الأعمال الخبيثة السيئة في المجتمع ولو كانوا مسلمين فإنهم عرضوا أنفسهم للهلاك، وإذا كثر فيهم الكفار فقد عرضوا أنفسهم للهلاك أيضا. ولهذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام من بقاء اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب.[3]

ذ- تقديم المسند إليه على خبره الفعلي:

عندما يراد إسناد حكم إلى مسند إليه، فمن المنطق أن يكون معرفة لا نكرة حتى يكون للتركيب اللغوي فائدة وقيمة.[4]

حيث يتقدم المسند إليه على خبره الفعلي لعدة أغراض أهمها: لغرض الاهتمام والتنبيه والتشويق، وهذا ما ورد في كتاب رياض الصالحين في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**دينارٌ أنفقتَهُ في سبيلِ اللهِ، ودينارٌ أنفقتَهُ في**

---

[1] العثيمين:المرجع السابق، ص ص 89-90.

[2] العثيمين:المرجع نفسه، ص 445.

[3] العثيمين: المرجع نفسه، ص ص 445- 446.

[4] فواز فتح الله ابراميني: البلسم الشافي في علوم البلاغة البيان المعاني البديع ، ص229.

رَقَبَتِه، ودينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، ودينارٌ أنفقتَهُ على أهلك، أعظمُها أجرًا الذي أنفقتَهُ على أَهْلِكَ))[1] فهنا تقدم المسند إليه وهو "دينارٌ" على خبره الفعلي "أنْفَقْتهُ"، فالرسول صلى الله عليه وسلم يبين أن خير المال الذي ينفقه على أهله، فهذا الحديث يدل كذلك على فضيلة الإنفاق على الأهل، وأنه أفضل من الإنفاق في سبيل الله، وأنه أفضل من الإنفاق في الرقاب، وأفضل من الإنفاق على المساكين، وذلك لأن الأهل ممن ألزمك الله بهم، وأوجب عليك نفقتهم، فالإنفاق عليهم فرض عين، والإنفاق على من سواهم فرض كفاية وفرض العين أفضل من فرض الكفاية.[2]

وهذا النمط من التقديم ورد في حديث آخر في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**صَلاةُ الرَّجلِ في جمَاعَةٍ تَزيدُ عَلَى صَلاته في سُوقِه وبيته بضْعاً وعشرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أنَّ أَحدَهُمْ إذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضوءَ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ لا يُرِيدُ إلاَّ الصَّلاةَ، لاَ يَنْهَزُهُ إلاَّ الصَلاةُ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بها خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فإذا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ في الصَّلاة مَا كَانَت الصَّلاةُ هِي تَحبسُهُ، وَالمَلائكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مَجْلِسِه الَّذي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيه، مَا لَم يُؤْذِ فيه، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**)).[3] فهنا تقدم المسند إليه وهو صَلاة على خبره الفعلي وهو " تزيد على صلاته في سوقه" لغرض **الاهتمام والتنبيه على الخبرية**.

فمعنى هذا الحديث أنه إذا صلى الإنسان في المسجد مع الجماعة كانت هذه الصلاة أفضل من الصلاة في بيته أو في سوقه سبعًا وعشرين مرة؛ لأن الصلاة مع الجماعة قيام بما أوجب الله من صلاة الجماعة.

وإن القول الراجح من أقوال أهل العلم: أن صلاة الجماعة فرض عين، وأنه يجب على الإنسان أن يصلي مع الجماعة في المسجد، لأحاديث وردت في ذلك.

فأوجب الله الجماعة في حال الخوف، فإذا أوجبها في حال الخوف ففي حال الأمن من باب أولى وأحرى. ثم ذكر السبب في ذلك " بأن الرجل إذا توضأ في بيته فأسبغ الوضوء ثم خرج من بيته إلى المسجد لا ينهزه أو لا يخرجهُ إلّا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع الله بها درجة وحطَّ عنه بها خطيئة، سواء أقرب مكانه من المسجد أم بعد، كل خطوة يحصل بها فائدتان:

---

[1] العثيمين:المرجع السابق، ج2، ص 136.

[2] العثيمين: المرجع نفسه، ص 137.

[3] العثيمين:المرجع نفسه، ج1، ص 33.

الفائدة الأولى: أن الله يرفعه بها درجة.

الفائدة الثانية: أن الله يحط بها خطيئة وهذا أفضل عظيم.

وقوله: " فإنه في صلاة ما انتظر الصلاة"، وهذه أيضا نعمة عظيمة، لو بقيت منتظرا للصلاة مدة طويلة وأنت جالس لا تصلي بعد أن صليت تحية المسجد وما شاء الله فإنه يحسب لك أجر الصلاة " لا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة"، وأن الملائكة تصلي عليه مادام في مجلسه الذي صلى فيه تقول: ((اللَّهُمَّ صل عليه، اللهم اغفر له، اللَّهُمَّ تب عَلَيْه))، وهذا أيضا فضل عظيم لمن حضر بهذه النية وبهذه الأفعال. والخروج من البيت إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة يدل على اعتبار النية في حصول هذا الأجر العظيم، أما لو خرج من بيته لا يريد الصلاة فغنه لا يكتب له هذا الأجر، مثل أن يخرج إلى دكانه لَمَّا أُذِّن ذَهب يصل فإنه لا يحصل على هذا الأجر؛ لأن الأجر إنما يحصل لمن خرج من البيت لا يخرجه إلا الصلاة، لكن ربما يكتب له الأجر من حيث أنه ينطلق من دكانه أو من مكان بيعه وشرائه إلى أن يصل إلى المسجد مادام انطلق من هذا المكان وهو على طهارة. والله الموفق.[1]

ر- تقديم شبه الجملة على الفضلة:

إن تقديم الجار والمجرور على عناصر الجملة الفعلية يوحي بأن دلالة شبه الجملة المتقدمة أهم من دلالة عناصر الجملة نفسها، وهذا يعني أن مصطلح "فضلة" أو "قيد" الذي نص عليه النحاة في تقسيم أركان الجملة الفعلية، لا يعني غياب القيمة الدلالية ومنه فقد تتقدم شبه الجملة من (**جار ومجرور**) على الفضلة لأغراض متعددة ومتنوعة مثل الاختصاص كقوله تعالى: **وَعَلَى اللهِ فليتوَكَّلْ المُتَوَكِّلُونَ**» سورة إبراهيم الآية 12 وقوله تعالى: «**وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**» سورة الأعراف الآية 89، وفي قوله: " **عليه توكلت وإليه أُنيبُ**"[2] سورة هود الآية 88.

فهنا تقدمت شبه الجملة (الجار والمجرور) للدلالة على الاختصاص، لأن التوكل لا يكون إلاّ على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده. وهذا ما ورد في كتاب رياض الصالحين في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**اللهُ أفرحُ بتوبة عَبدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سقطَ على بعيرِهِ وَقَدْ أضَلَّهُ في أَرضٍ فلاةٍ**)).[3] فهنا تقدمت شبه الجملة " **بتوبةِ**

[1] العثيمين: المرجع السابق، ص ص 33-34.

[2] عمر عبد الهادي عتيق:المرجع السابق، ص 218.

[3] العثيمين: المرجع السابق، ص 45.

عَبدِه" على الفضلة " **من أحدكم**" فالأصل **اللهُ أفرحُ مِنْ أَحَدِكُمْ من توبة عَبدِه سقطَ على بعيرِه وَقَدْ أضَلَّهُ في أَرضٍ فلاةٍ**. والمقصود هنا رجل كان بأرض فلاة ليس حوله أحد؛ لا ماء ولا طعام ولا أناس. ضل بعيره: أي ضاع فجعل يطلبه فلم يجده، فذهب إلى شجرة، ونام تحتها ينتظر الموت قد أيس من بعيره وأيس من حياته؛ لأن طعامه وشرابه على بعيره والبعير قد ضاع.

ففي هذا الحديث دليل على فرح الله عز وجل بالتوبة من عبده إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك سبحانه وتعالى محبة عظيمة، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا فالله غني عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم فإنه يحب أن يعفو، وأن يغفر أحبُّ إليه من أن ينتقم ويؤاخذ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان.[1]

ومنه في الحديث حث على التوبة، لأن الله يحبها وهي من مصلحة العبد، وفيه إثبات الفرح لله عز وجل فهو سبحانه وتعالى يفرح ويغضب ويكره ويحب لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا.

فهذا الفرح لا يمكن أن يتصوره أحد إلا من وقع في مثل هذه الحال؛ لأنه فَرَحٌ عَظِيمٌ، فَرَحٌ بالحَيَاةِ بَعْدَ المَوْت.[2]

كما ورد في كتاب رياض الصالحين في حديث آخر في قوله صلى الله عليه وسلم: " **إِذا سمِعْتُمُ النِّداءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عليَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عليَّ صَلاةً صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ بِهَا عشْراً، ثُمَّ سلُوا اللَّه لي الْوسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنزِلَةٌ في الجنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلاَّ لعَبْدٍ منْ عِباد اللَّه وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو، فَمنْ سَأَل ليَ الْوسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفاعَةُ** ".[3]

ففضيلة هذا الحدي ثان النبي صلى الله عليه وسلم أمر إن سمعنا المؤذن أن نقول مثل ما يقول؛ إذا قال: الله أكبر نقول: الله أكبر.. إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، نقول: أشهد أن لا إله إلا الله... إذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله، نقول: أشهد أن محمدا رسول الله...إلا حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح فلا نقول؛ لأننا نحن مدعوون والمؤذن داع فلا يصح أن نقول (حي على الصلاة) بعده لكننا نقول كلمة الاستعانة (لا حول ولا قوة إلا بالله) وهذه الكلمة تعني أننا عزمنا على الإجابة ولكننا نستعين بالله – عز وجل- ولهذا أقول: إن هذه الكلمة كلمة استعانة تعين الإنسان على أموره.

---

[1] العثيمين:المرجع نفسه، ص ص 45- 46.

[2] العثيمين:المرجع السابق، ص ص 45- 46.

[3] العثيمين، المرجع نفسه، ج3، ص 198.

ومنه فإذا صلينا على النبي صلى الله عليه وسلم، وسألنا الله له الوسيلة حلت لنا الشفاعة- يعني شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم- الوسيلة: درجة عالية في الجنة، أعلى ما يكون لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله.[1]

ز- تقديم شبه الجملة على الحال:

تتقدم شبه الجملة على الحال لعدة أغراض أهمها:

التخصيص[2]: كما ورد في الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلك: **"فَأَوْحَى الله تعالَى إِلَى هذِهِ أن تَبَاعدِي، وإلى هذه أَنْ تَقَرَّبِي وقال قيسوا مَا بينَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إلى هذه أقربَ بشبْرٍ فغفِرَ لهُ"**[3]. حيث تتقدم شبه الجملة وهي إلى هذه على الحال وهي " **أقربَ**" حيث خصَّ الله بالمغفرة لأن الله تعالى هو الذي يغفر لعباده ويحاسبهم.

س- الابتداء بالنكرة:

تبتدئ العرب بالنكرة لأغراض مقاصد بلاغية عديدة ومتنوعة، وذلك بحسب المعاني البلاغية للأحاديث التي تناولناها، وقد ورد هذا النمط من التقديم في كتاب رياض الصالحين، في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصّحَةُ والفراغُ**)).[4] فهنا قدم نعمتان وهي المسند (الخبر) نكرة لغرض التشويق لدى السامع، كي يتسنى له التعرف على هاتين النعمتين ففي هذا الحديث قال المؤلف – رحمه الله تعالى- فيما رواه عن هذا الحديث أن هذين الجنسين من النعم مغبون فيهما أي مغلوب فيهما كثير من الناس، وهما الصحة والفراغ، وذلك أن الإنسان إذا كان صحيحًا كان قادرا على ما أمره الله ب هان يفعله. وكان قادرًا على ما نهاه الله عنه أن يتركه لأنه صحيح البدن، منشرح الصدر، مطمئن القلب، كذلك الفراغ إذا كان عنده ما يؤويه وما يكفيه من مؤونة فهو متفرغ.

فإذا كان الإنسان فارغا صحيحًا فإنه يغبن كثيرا في هذا، لأن كثيرا من أوقاتنا تضيع بلا فائدة ونحن في صحة وعافية وفراغ ومع ذلك تضيع علينا كثيرا ولكننا لا نعرف هذا الغبن في الدنيا، إنما يعرف الإنسان الغبن إذا

---

[1] العثيمين، المرجع نفسه، ص 199.

[2] عمر عبد الهادي عتيق : المرجع السابق، ص 218.

[3] العثيمين: المرجع السابق، ج1، ص 52.

[4] العثيمين:المرجع السابق، ج1، ص 284.

حضره أجلهُ، وإذا كان يوم القيامة. ثم إن الإنسان قد لا تفوته هذه النعمة، بل قد لا تفوته هاتان النعمتان: الصحة والفراغ، بالموت بل قد تفوته قبل أن يموتن قد يمرض ويعجز عن القيام بما أوجب الله عليه، قد يمرض ويكون ضيق الصدر لا ينشرح صدره ويتعب، وقد ينشغل بإيجاد النفقة له ولعياله حتى تفوته كثير من الطاعات.

ولهذا ينبغي للإنسان العاقل أن ينتهز فرصة الصحة والفراغ في طاعة الله عز وجل بقدر ما يستطيع، إن كانَ قارئًا للقرآن فليكثر قراءة القرآن، وإن كان لا يعرف القراءة يكثر من ذكر الله عز وجل، وإذا كان لا يمكنه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، أو يبذل لإخوانه كل ما يستطيع مع معونة وإحسان، فكل هذه خيرات كثيرة تذهب علينا سدى، فالإنسان العاقل هو الذي ينتهز الفرص، ومنها فرصة الصحة وفرصة الفراغ. وفي هذا دليل على أن نعم الله تتفاوت وأن بعضها أكبر من بعض.[1]

ومن هذا النمط من التقديم ما ورد في كتاب رياض الصالحين في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْل الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ, فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**)).[2] ففي هذا الحديث قدم رَجُلٌ وهو نكرة مبتدأ أو الخير هو الجملة الوصفية " يمشي بطريق اشتد عليه العطش"، فمن مسوغات الابتداء بالنكرة أن يكون الخبر جملة وصفية، كما أن كلمة كَلْبٌ جاءت أيضا مبتدأ مرفوع نكرة فمن مسوغات الابتداء بالنكرة أن تأتي بعد إذا الفجائية، وهذا لغرض المفاجأة والدهشة والتعجب، فهذا الحديث يندرج ضمن باب كثرة طرق الخيرات وهي قصة غريبة رواها أبو هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم، بينما رجل يمشي في الطريق مسافرًا أصابه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، وانتهى عطشه، فلما خرج وإذا الكلب يأكل الثرى من العطش، فنزل يأكل الطين المبتل الرطب، يأكله من العطش، من أجل أن يَمص ما فيه من الماء من شدة عطشه، فقال الرجل: والله لقد أصاب هذا الكلب من العطش ما بلغ مني، ثم نزل البئر وملأ خفه ماء.

الخف: ما يلبس على الرجل من جلود ونحوها، فملأه ماءً فأمسكهُ بفيه، وجعل يصعد بيديه حتى صعد من البئر، فسقى الكلب، فلما سقى الكلب شكر الله لهُ ذلك العمل، وغفر لهُ وأدخلهُ الجنة بسببه.[3]

---

[1] العثيمين:المرجع نفسه ، ص ص 284-285.

[2] العثيمين: المرجع السابق، ص ص 330- 331.

[3] العثيمين:المرجع نفسه، ص 331.

وقد ورد أيضا هذا النمط من التقديم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**)).[1] فهنا جاءت كلمة وَيْلٌ نكرة وهي تعرب مبتدأ مرفوع، وهذا لغرض التهويل والتهديد. ففي هذا الحديث قال المؤلف- رحمه الله- فيما نقله عن أم المؤمنين زينب- رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ**)). دخل عليها بهذه الصفة، متغير اللون محمر الوجه، يقول: ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه**)) تحقيقا للتوحيد وتثبيتا له لأن التوحيد هو القاعدة التي تبنى عليها جميع الشريعة.[2]

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه**)) في هذه الحال التي كان فيها. متغير اللون، تثبيتا للتوحيد وتطمينا للقلوب، ثم حذر العرب فقال: ((ويل للعرب من شر قد اقترب)). وحذر العرب لأن العرب هم حاملوا لواء الإسلام، فالله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم في الأميين، في العرب.

وقوله: ((من شر قد اقترب)) الشر هو الذي يحصل بيأجوج ومأجوج ولهذا فسره بذلك فقال: ((فَتْح الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ)) وأشار بالسبابة والإبهام، يعني انه جزء ضعيف، ومع ذلك فإنه يهدد العرب فالعرب الذين حملوا لواء الإسلام من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا، مهددون من قتل يأجوج مأجوج المفسدين في الأرض، فهم أهل الشر وأهل الفساد. ثم قالت: زينب: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: " نعم إذا كَثُرَ الخَبْثُ". الصالح لا يهلك وإنما هو سالم ناج، لكن إذا كَثَرَ الخبث هلك الصالحون.[3]

وكذلك جاء في حديث آخر النمط نفسه من التقديم يقول صلى الله عليه وسلم: ((**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مَائِلاَتٌ مُمِيلاَتٌ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**)).[4]

---

[1] العثيمين:المرجع نفسه، ص 445.

[2] العثيمين: المرجع نفسه، ص 445.

[3] العثيمين:المرجع نفسه ، ص ص 445- 446.

[4] النووي :المرجع السابق، ص 429.

فهنا جاءت صنفان مبتدأ ونكرة، "ومن أهل النار" صفة و "لم أرهما" خبر، من أهل النار صفة (شبه الجملة) لصنفان، ومن هنا فإنه من مسوغات الابتداء بالنكرة تخصيص النكرة بالوصف، وهنا "صنفان" خصصت بالوصف، ففي الحديث "قوم" بدل من "صِنْفَانِ" و"نساء" معطوف على البدل.

ولم أرهما تُحمل على معنيين المعنى الأول التعجب والاستغراب من هذين الصنفين اللذين حق عليهما عذاب النار والمعنى الثاني أن النبي (ص) لم يرهما في مجتمعه وحياته اليومية وذلك من خلال التعريف بهذين الصنفين " قوم معهم سياط كأذناب البقر- ونساءٌ كاسيات عاريات...".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثَلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ولا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلاةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ)).[1] ففي هذا الحديث جاءت "ثلاثة" نكرة، و" لا يكلمهم الله يوم القيامة" خبر، و" لا ينظرُ إليهمْ ولَا يُزَكّ]هِمْ ولهم عذاب أليم" معطوفة على لَا يُكَلّمُهُمْ وَرَجُلٌ بدل، وهنا جاءت النكرة ثلاثة عدد، ومن مسوغات الابتداء بالنكرة أن يكون المبتدأ عددا. فالسياق سياق تحذير من أخلاق ومعاملات مخصوصة وجاءت السنة النبوية طافحة بهذا الأسلوب التحذيري التعليمي في آن واحد الذي اعتمد فيه النبي صلى الله عليه وسلم استهلال كلامه بالنكرة العددية منها " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر"، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصًا، زمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر". ففي هذا الحديث تحقير عظيم من النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الخصال أو الأخلاق فحذر من الخصال الأربعة مجتمعة وربطها بالنفاق ثم جاء التفصيل خصلة خصلة وأن اتصاف الشخص بخصلة واحدة منها ليس بالأمر الهين يكفيه حقارة أن تكون فيه خصلة من نفاق.

[1] النووي : المرجع نفسه، ص 475.

خاتمة

من خلال دراستنا لظاهرة التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف رياض الصالحين أنموذجا استنبطنا مجموعة من النتائج التي توضح حقيقة هذه الظاهرة في كل جانب ومن أهمها:

– أن أول من أشار إلى التقديم والتأخير هو "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" ضمن دراسته للتراكيب، كما أن العلماء الذين جاؤوا بعد الفراهيدي، درسوا هذا الموضوع كل واحد وطريقته فهناك من أشار إليه في معرض كلامه ومنهم من درس جانبا دون باقي الجوانب.

– للتقديم والتأخير أنواع متعددة حيث يحقق بين المسند والمسند إليه في الجملة أغراض بلاغية متنوعة، مثل: **التخصيص– التفاؤل، التشاؤم، الاستنكار، التعظيم** ويعد " **عبد القاهر الجرجاني**" أول من قال في قضية تقديم المسند إليه والمسند والتقديم والتأخير لا يقتصر على هذا بل يتعداه إلى وجوده في متعلقات الأفعال والفضلات ...إلخ.

– لا يمكن للتقديم والتأخير أن يقف عند حد جزئيات اللغة من كلمات وجمل لما يُقدم بعضها على بعض، وإنما يمتد ليشمل معظم الأحاديث والموضوعات الكبرى وما كان لحديث أن يسبق حديثا آخر إلّا لدلالة معنوية يبثها السياق في مضمونه وبين طياته– أو لضرورة بلاغية تخدم نص الحديث– وتبرز أغراضه.

وقد وَرَدَ أسلوب التقديم والتأخير في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة المختلفة باختلاف أبوابها في كتاب رياض الصالحين ومن بين الأبواب التي تطرقنا إليها ما يلي:

- باب الإخلاص وإحضار النية.
- باب الصبر.
- باب بر الوالدين وصلة الأرحام.
- باب استحباب العزلة عند فساد الناس.
- باب اليقين والتوكل.
- باب فضل البكاء من خشية الله وشوقا إليه.
- باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها.
- باب فضل الزهد في الدنيا.
- باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم.
- باب الخوف والرَّجَاء.

- باب النفقة على العيال.
- باب بيان كثرة طرق الخير...إلخ.

وأخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا ولو بقدر قليل في إنجازنا هذا البحث المتواضع ونرجوا من الله أن يوفقنا وإياكم.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.
- الحديث النبوي الشريف: كتاب رياض الصالحين.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم قلاتي: قصة الإعراب جامع دروس النحو والصرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، د.ط، د.ت.

2- أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المدني بجدة، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1413هـ- 1992م.

3- أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ-1997م.

4- أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، تح وائل أحمد عبد الرحمان، دار التوفيقية، القاهرة، مصر، ط6، 2013م.

5- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية بيروت، د ط، د ت، ج1.

6- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1420هـ 2000م.

7- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي، العراقي، د.ط، 1406هـ 1986م، ج2.

8- أمين أبو ليل: علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1 1427هـ، 2005م.

9- أمين أبو ليل، علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1 1427هـ، 2006م.

10- الباشا العيادي، البلاغة، دار محمد علي حامي للنشر، صفاقس الجديدة، ط2، 2002م.

11- بثينة أيوب، قضايا بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية، ط1، 2005م.

12- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ- 1984م.

13- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث القاهرة، ط3، 1404هـ، 1984م، ج3.

14- بشيوني عبد الفتاح فيُّود: دراسات بلاغية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، دار المعا لم الثقافية للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط2، 1426هـ- 2006م.

15- بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ط10، 2005، ج1.

16- بن عيسى باطاهر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 2008 م.

17- ثرث حاكم الزيادي: الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن مؤسسة دار الصادق الثقافية للنشر والتوزيع العراق، ط1، 1432هـ- 2011م.

18- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ 2008م.

19- حلمي مرزوق: في فلسفة البلاغة العربية علم المعاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1 2004م.

20- حميد آدم ثويني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1 1427هـ، 2007.

21- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، ط1، 1416هـ 1996م.

22- راضي محمد عيد نواصرة: البلاغة والبيان وفصاحة الكلام عند سيدنا الإمام، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2011م.

23- زكريا تونانى: التسهيل لعلوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ط1، 1431هـ، 2010م.

24- سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ 1983م، ط2، 1407هـ، 1987م.

25- السيد خليفة: الكافي في النحو، دار ابن خلدون، كلية الآداب، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ج2.

26- السيد يحي ابن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني: الطراز، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، 1990م.

27- شفيع السيد: النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط 2006 م.

28- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، النيل القاهرة، ط6، د.ت.

29- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، د ت.

30- طالب محمد إسماعيل الزوبعي: البلاغة العربية علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1997م.

31- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة الميداني الدمشقي: البلاغة العربية، دار العلم، بيروت، ط1، 1416هـ 1996م، ج2.

32- عبدُ العاطِي غَرِيبُ عَلَّام: دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1997م.

33- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

34- عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

35- عبد القادر حسين: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، مكتبة الآداب، علي حسين، د ط، 1418هـ 1997م.

36- عبد القاهر الجرجاني: في علم المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

37- عبده عبد العزيز قليلة، البلاغة الاصطلاحية،دار الفكر العربي، للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

38- علال نوريم: جديد الثلاثة الفنون في شرح الجوهر المكنون، علم المعاني، د.ط، د.ت، ج1.

39- عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2012م.

40- فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة، د ط، 1425هـ 2004م.

41- فضل حسين عباس: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط12 1429هـ- 2009م.

42- فواز فتح الله ابراميني: البلسم الشافي في علوم البلاغة- البيان- البديع، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العين، ط1، 1430هـ، 2009م.

43- فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ط 2005م.

44- فيصل حسين طحيمر العلي: البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 1990م.

45- محمد ألتونجي: الجامع في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع، دار العزة والكرامة، الكتاب، وهران، ط1 1434هـ-2013م.

46- محمد بن صالح العثيمين: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، تح محمد سعيد محمد وعبد السلام عبد الحكيم عَوضًا، دار ابن الهيثم، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1،2،3.

47- محمد رجب البيومي: البلاغة النبوية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1429هـ-2008م.

48- مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، د. ط، د. ت.

49- مسعد الهواري: قاموس قواعد البلاغة وأصول النقد والتذوق، مكتبة الإيمان، المنصورة، دط، دت.

50- نادين زكريا: الميسر في الصرف والنحو، دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، 2002م.

51- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة، للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ، 2007م، ط2، 1430هـ، 2010م.

المعاجم:

1- جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م-1426هـ، ج7.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مكتبة لبنان، ط1، 2004م.

3- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 2009م-1430هـ.

المذكرات:

1- تقبايت حامدة: قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م.

2- رملة رشيد إسماعيل الناصري: التقديم والتأخير في صحيح البخاري، دراسة بلاغية، أطروحة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، 1423هـ، 2003م.

3- محمود سليمان أحمد مسمح: البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني في فتح القدير، أطروحة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية ، غزة، 1428هـ، 2007م.

المجلات:

1- أميمة بدر الدين: بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، العدد الثالث والرابع 2010م، المجلد 26.

2- عبد الرحيم عزّاب: بنية الإيقاع في الخطاب القرآني جماليات التقديم والتأخير نموذجا، مقاربة أسلوبية، مجلة الناص، العدد الثامن مصدر عن قسم اللغة والأدب العربي بجامعة جيجل، الجزائر، مارس 2008م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-ج
مدخل	8-5
الفصل الأول: ماهية التقديم والتأخير وأهميته	
المبحث الأول: تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحا	10
المطلب الأول: تعريف التقديم	10
أ-لغة	11-10
ب -اصطلاحا	11
المطلب الثاني: تعريف التأخير	11
أ- لغة	12-11
ب- اصطلاحا	12
المطلب الثالث: التقديم والتأخير عند النحاة والبلاغيين	15-13
المبحث الثاني: أنواع التقديم والتأخير وأهميته في إيصال المعنى	16
المطلب الأول: أنواع التقديم والتأخير	16
أولا: التقديم والتأخير في الإثبات	16
أ- تقديم المفعول على الفعل والفاعل	17-16
ب- تقديم الظرف وتأخيره	19-17
ت- تقديم شبه الجملة	20-19
ث- تقديم الحال وتأخيره	23-20
ج- تقديم الخبر على المبتدأ	26-23
ح- التقديم في الخبر المثبت	27-26
خ- تقديم الاستثناء	27
د- تقديم متعلقات الفعل	29-27
ذ- تقديم بعض المعمولات على بعض	30-29
ثانيا: التقديم والتأخير في النفي	30
أ- النفي بين الفعل والفاعل	31-30
ب- النفي بين الفعل والمفعول	32-31

ت- التقديم مع النفي	34-32
ث – النفي المتقدم لصيغة العموم والمتأخر عنها	34
ثالثا: التقديم والتأخير في الاستفهام	35
أ- التقديم والتأخير في الاستفهام الحقيقي	35
ب- التقديم والتأخير في الاستفهام التقريري	36-35
ت- التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري	38-36
رابعا: تقديم النكرة و"مثل" و"غير" على الخبر	38
أ- تقديم النكرة	39
ب- تقديم النكرة على الفعل	40-39
ت- تقديم "مثل" و"غير"	40
1- تقديم مثل	41-40
2- تقديم "غير"	42-41
ث- تقديم إنَّمَا	42
المطلب الثاني: أهمية التقديم والتأخير في إيصال المعنى	45-43
المبحث الثالث : دور التقديم والتأخير في بلاغة الجملة وأغراضه	46
المطلب الأول: دور التقديم والتأخير في بلاغة الجملة	50-46
المطلب الثاني: أغراض التقديم والتأخير	55-50
الفصل الثاني: بلاغة التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف	
أولا- التعريف بكتاب رياض الصالحين	57
ثانيا- التعريف بمؤلف كتاب رياض الصالحين	59-57
ثالثا – نماذج من التقديم والتأخير في كتاب رياض الصالحين	60
أ- تقديم خبر إن على اسمها	63-60
ب -تقديم خبر كان على اسمها	64-63
ت -تقديم خبر ليس على اسمها	65-64
ث – تأخير اسم لا يزال على شبه الجملة	66-65
ج – تقديم المفعول به على الفاعل	68-66
ح -تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معا	69-68
خ-تقديم متعلقات الفعل	71-69
د- تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ	73-71

ذ- تقديم المسند إليه على خبره الفعلي	75-73
ر- تقديم شبه الجملة على الفضلة	77-75
ز- تقديم شبه الجملة على الحال	77
س- الابتداء بالنكرة	80-77
خاتمة	83-82
قائمة المصادر والمراجع	90-85
فهرس المحتويات	94-92